

1

البحوث المجيدة



جَمَعَه وحَقَّقه المربِّي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشَّهير بالدّيراني

فضيلة العلامة الإنساني الكبير

محمد أمين شيخو

قدّس الله سرّه



جمعه وحققه المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

ابن محدث دمشق الأكبر المرحوم الشيخ محمد الديراني

www.amin-sheikho.com

info@amin-sheikho.com

الفهرس

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء . . ﴾

محمد أمين شيخو

"نور على نور"

بحوث مجيدة: أبت النفوس العظيمة إلاَّ أن تتجلَّى بأجلى معانيها، بينما انقشرت قشرة الحياء عن بشرة الوجه لتهوي بالإنسانية إلى السحيق في الانحطاط، بدسوس إسرائيليات مضلاَّت لا هاديات، عندها بزغت شمس هادينا، قائد رايات النور الإلَهي بالرحلة المحمدية الكبرى، يمتطي سفينة الحق، فارداً شراع الحقيقة، تدفعه روحانيات العظمة والرحمة الإلَهية المتعاظمة، من ينبوع نفسه النفيسة المتسامية، عروجاً في سموات معاني القرآن وينابيعه الصافية النقيَّة، حين أخذ يخلق من الوهن عزيمة، ومن الضياع عودة إلى الحق، ومن التدهور المريع نظاماً لا يتسرب إليه الشك ولا تقوِّضه الرِّيبُ.

فغدت عالي دلالته نوراً يستضيء بها العالِمون، وتُسقى من مشكاةِ الحقائق العظمى؛ **رؤيات بيِّنات** في صدور الذين أوتوا العلم، بمنطقٍ سهلٍ عذبٍ لا ريب فيه، هدىً للطامحين العظماء.

وها نحن بسبُحات بحوثه المجيدة نعود عليكم من ناطقات المجد الربَّاني الزاخر بالمحبة، المدسَّم بالفائدة، المكلَّل بالنصر المــؤزَّر، وحولها هالات من روحانيات حبيب الله، إذ جلجلت صرخة النبيِّ فَهُدَّتْ لوقعها كلُّ

الدسوسِ .. بحوث تَحْصُدُ الباطل حصداً، وتنقذ الخلْق طُرّاً، لتتحقَّق المعجزات، ولتبتهج الناسْ، إذ زال بالشروح الإبلاسْ، فهي تنطق بالحق الذي به رسل الله نطقوا، لتعرج بنا إلى الله كما عرجوا. هي رحلة المؤمن العظمى، التي تقودك إن فكَّرت وقايست فقارنت بها ما سواها، ألاَّ تجنح بعدها إلاَّ للحق، وإن كنت تهوى الطهارة ورمت طاعة الله وصحبة رسوله ﷺ، فبيْن يديك الطريق.. اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر.

موسى عليه السلام: فمن بحوثنا: سيدنا موسى عليه السلام، وها قد كشفت شمس الحق ظلمة ليلٍ بهيم طويل، حجبت العقول عن شجاعةٍ شامخة لرسول شجاع كريم، حين جازف بحياة الملوك وما فيها من عزٍّ ونعيم، نصرةً للحق وسحقاً للباطل، وغير آبهٍ بالموت في سبيل مرضاة الإآله الحبيب.

يوسف عليه السلام: وبحث سيدنا يوسف، وما أدراك ما طهارة يوسف عليه السلام..

أحسن القصص: أَكْبِرْ بِهِ وأَعْظِمْ، وقصَّته من أحسن القصص:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ . . ﴾[1].

---

[1] سورة يوسف: الآية (٣).

أما الذين في قلوبهم زيغ، وفي أعمالهم انحراف، وفي نواياهم سوء، وكل إناء بما فيه ينضح.. أجل لقد نضحوا من أوانيهم ويا لهول ما نضحوا؛ نضحوا أقبح وأرذل ما فيهم، ليطمسوا سنا أنوار طهارته العليَّة الزاهيةِ البهيَّةْ.. فأتت شروح علامتنا بطشاً وإرغاماً لمن أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلاَّ أن يتم نوره.

ثم هنالك بحوثٌ تترى .. لو كُتِبَت بالإبر على آماق البصر

لكانت عبرةً لمن اعتبر

تقديم المربي الأستاذ

عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

غاية الحق من إيجاد الخلق

لابدَّ أن كل إنسان وعـــبْر فترات عمره قد دارت في خلده أسئلة كثيرة، فهو منذ طفولته ومع بداية إدراكه وتمييزه يسأل عما يراه. فقد يسأل الطفل إذا نظر إلى السماء مثلاً، لماذا تلمع هذه النجوم؟. وأين تذهب الشمس في المساء؟. ومن أين تجيء الغيوم؟. إلى غير ذلك من الأسئلة.

إلهامات وتساؤلات:

ومع نمو إدراك هذا الطفل تكثر أسئلته، طالباً من خلالها التعرف إلى هــذا الكـــون، وهكذا.. إلى أن يتجـــاوز في تساؤلاته حدود هذا الكون المادي، فينتقل إلى مجال آخر ؛ فيتساءل عن موجد هذا الكون؟!. وأين هو؟!. وما غايته من إيجاده؟!. فحب الاستطلاع من أسس طبائع الإنسان، فما حقيقة تلك الأسئلة؟. وما مصدرها؟. قد تظهر وكأنها منبعثة من نفس ذلك الطفل، إلاَّ أن الحقيقة غير ذلك، فهذه الأسئلة كلها موجَّهة من الله عن طريق ملائكته لهذا الطفل، على شكل صوت خفي ينبض في قرارة نفسه، علَّها تقوم بتحريض هذا الإنسان ودفعه للبحث عمَّا خُلِقَ من أجله. فمن أجل أي شيء خلق هذا الإنسان؟. وهل صحيح أن هذا السؤال لا جواب له؟.

أم هل خُلِقَ من أجل مأكل ومشرب وزواج أو غير ذلك من شهوات؟. حتماً ليست هي الغاية التي خلقتَ من أجلها .. فكلٌّ ما هو دونك من المخلوقات والحيوانات تحصل على مثل هذا، وهي أوفر حظاً منك

بالحصول على تلك الشهوات والتمتُّع بها.. فإن كانت الغاية للأكل والشرب، فالبقرة مثلاً تأكل عشرات الأرطال من طعامها.. بلذة وشهوة ونَهَم، فأي إنسان مهما بلغ هل يسبقها بالطعام؟!. وإن كانت الغاية النكاح، فالطيور أسبق منه بكثير، فأيُّ ديك عنده الأعداد الكثيرة وقد تصل للعشرات من الدجاجات، وكذا كساء الطيور وأرياشها فهي ذات جمال منقطع النظير كالطاووس مثلاً بما حوى من روائع الخلق، ما يغنيها عن علوم البشر ومصانع نسيجِه وصنع الملابس وما إليها من تعقيدات الحضارة ومدنيتها، وَلخلَق الله البشر على نهج الطيور الفتانة الرائعة الجمال دونما جهد ونصب لتكاليف الحياة المعقدة المرهقة، ولكفاه كما يكفي تلك الطيور الراقية البديعة التي تشدهُ العقول وتسبي القلوب، تغدو بالصباح خماصاً وتعود بالمساء بطاناً بلا جهد ولا عمل مضني.

فما الغاية التي جئنا بها إلى الدنيا إذن؟.

لماذا خلقنا؟!..

قيل: خلقنا الله من أجل عبادته، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

صحيح هذا، ولكن هذا الجواب للبعض هو سؤال في حدِّ ذاته، فلم خلقنا الله وأمرنا بعبادته؟. هل لأنه إلّه وينبغي للإلّه أن يكون لديه من يعبده؟. وهل هو تعالى بحاجة لعبادتنا؟.

---

[1] سورة الذاريات: الآية (٥٦).

أم أنه خلقنا وأمرنا بالعبادة ليذيقنا صنوفاً من المشقات من أوامر ونواه!. حتماً ما كانت الغاية لا هذه ولا تلك، وحاشا لله أن تكون كذلك. فإن كمال الله وأسماءه الحسنى تتنافى وهذه الغايات، فالله تعالى غني عنّا وعن عبادتنا.

إذ يقول تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[1].

الحديث القدسي الشريف: «..يا عبادي: لو أنَّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلّ إنسانٍ مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلاَّ كما ينقص المخيطُ إذا أُدخل البحر..»[2].

غاية خَلقنا:

إذن غاية الحق من إيجاد الخلْق أن يعمل الإنسان المعروف والإحسان؛ وذلك بأن يؤمن بالله ورسوله؛ ويصبح صاحب بصيرة يرى الخير من الشر؛ فيعمل الخير، فيسعد في دنياه ويلقى ربه بعد موته بوجه أبيض، فيخلد في جنّاته بالغبطة الأبدية.

إليك بيان ما كنتُ قد قدَّمت له فأقول:

كان الله و لم يكن معه شيء؛ فلا أرض ولا سماء؛ ولا قمر ولا نجوم؛ ولا غير ذلك من مخلوقات.

---

[1] سورة الذاريات: الآية (٥٧).

[2] كنز العمال ج٥ رقم /٤٣٥٩٠/.

فمهما قلتَ أول، فهو أول وأول، وليس لوجوده تعالى أول، ولا شيء قبله.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

الغاية من خلقنا..

وقد أراد الله وهو معدن الجود والإحسان، والرحمة والفضل والحنان، والجمال والعظمة والجلال، وما إليها من الأسماء الحسنى الدالة على الكمال، أراد تعالى أن يخلق المخلوقات ليذيقها من رحمته، وليغمرها بفيضٍ من برِّه وإحسانه.

وإن شئت فقل: أراد تعالى أن يخلق المخلوقات ليغمرها بذاته، حتى تسبح متنعمة في شهود جماله، وتتمتع مستغرقة في رؤية كماله.

وفي الحديث القدسي الشريف: «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أُعرف فخلقت الخلق وعرفتهم بي فبي عرفوني**»[2].

والمراد **بالكنز** هنا: هو ذلك الجمال الإلهي العظيم، والكمال العالي الرفيع.

ومعنى المخفي: أي الذي لا يعرفه أحد.

---

[1] سورة الحديد: الآية (٣).

[2] قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات الآية: (٥٦). وقد وافق على صحة الحديث الشيخ علي ملا القاري مستنداً إلى تأويل ابن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾: أي: ليعرفوني. وقد اعتمده الصوفية وابن عربي وبنوا عليه أصولاً.

فأحببت أن أُعرف: وذلك من كرمه تعالى وكبير فضله، لأن من شأن الكريم أن يظهر كرمه وفضله، ويفيض برَّه وإحسانه.

فخلقت الخلق: ليتمتعوا بشهود ذلك الجمال الإلّهي، وليستغرقوا في رؤية ذلك الكمال الذي لا يتناهى. وهي تشير هنا إلى إيجاده تعالى المخلوقات في ذلك العالم الذي يسمونه عالم الأزل.

وعرفتهم بي: أي عن طريق رؤيتهم لأنفسهم، توصَّلوا لمعرفتي، فتمتعوا برؤية ذلك الكنز العالي، إذ شاهدوا طرفاً من جمالي وكمالي: كان ذلك كله قبل مجيئنا إلى الدنيا.

هذا، وسبب الخروج إلى الدنيا هو أن وقوف هذه المخلوقات عند درجة واحدة من الرؤية للجمال والجلال الإلّهي الذي شهدته، يجعلها فيما بعد تملّ الحال الذي هي فيه، مهما كان عالياً، ولا بدَّ لها حتى يكون النعيم والفضل تاماً من أن تترقى في الرؤية من حال إلى حال أعلى، بصورة جديدة كل الجدَّة ولا تتناهى. وتقريباً لذلك من الأذهان نقول:

لو أن رجلاً يجلس في مزرعة فاتنة جميلة لم تر مثلها العين، وظل مقيماً فيها أمداً طويلاً.. فلا شك أنه يملّها، ولا يعود يرى بعد حين ما فيها من متعة وجمال، ولا بد له حتى يدوم له النعيم، من أن ينتقل إلى بستان جديد آخر أجمل مما هو فيه.

الملـل:

ولا شك أن الملل يتطرَّق إلى النفوس فهي بطبيعتها تملّ دوام الحال الواحد.. حتى أنها تملّ تكرار

ودوام الأصوات والأنغام الطروبة، بل والمآكل الفاخرة بتكرارها، وكافة المشتهيات المتكررة بذاتها.

وحيث أن المخلوق لا يستطيع أن يترقى في رؤية الجمال الإلٓهي من حال إلى حال أعلى، إلاَّ إذا كانت له أعمال طيبة تجعله واثقاً من رضاء خالقه عنه، وتكون له بمثابة مدارج يستطيع أن يتقرَّب بها إلى الله تعالى زلفى، لذا منحنا تعالى حرية الاختيار لنكسب الأكثر، وأخرجنا تعالى إلى هذه الدنيا لنصبح أولي بصيرة نميِّز الخير من الشر، والغثَّ من الثمين، والعمل الدنيء من الأعمال الإنسانية السامية، والباقي من الزاهق الفاني، فننطلق فعل الخيرات لذا أرسل لنا رسلاً وأنبياء، أدلاَّء على الحق، ولنخضع لأوامره الخيِّرة لنا، برؤيته تعالى التي تديم نفع ما نطبِّقه أبد الآباد في الحياة وبعد الممات، فننفع عباده الذين يحبهم تعالى كما يحبنا، لأنه هو أوجدهم وخلقهم ونمَّاهم.. وبأعمالنا الطيبة، لهم يرضى عنَّا، فحين ننتقل إليه تعالى إثر انتهاء آجالنا، فإنما ننتقل بوجه أبيض بأعمالنا الطيبة فنُقبل عليه تعالى، ونتمتع بجناته اللانهائية من جنة لجنة أعلى وهلمَّ جرَّاً، مرتكزين على الثقة بما قدّمنا من أعمال عالية طيبة، تتكرَّر بالآخرة أمامنا، فتكون بمثابة مدارج لمعارجنا بالجنّات.

إذن: فالله تعالى خلق الإنسان لفعل المعروف وعمل الإحسان، وتلك غاية وجودنا إن آمنا به تعالى، فصرنا أولي بصائر نرى الخير ونعمله، ونرى الشر فنتجنبه، فهو مانح وخالق كل فضل ونعمة وإحسان، وما هذه الدنيا بذات قرار، فكل من عليها فان، ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام.

الشدائد وخيرها العظيم

ليس هناك من قوة معنوية تصد الإنسان عن تطبيق أوامر خالقه، وليست هناك موانع تحول بينه وبين الإذعان والتصديق.. وإن مثل هذه الاعتقادات تتنافى مع صحيح الإيمان، ولا تتوافق مع رحمة الله تعالى وعدله ورأفته بهذا الإنسان. ولو كانت هناك موانع، لما كان ضرورياً التضييق على الإنسان وسوق الشدائد والمصائب، بل لكانت هذه الشدائد والمصائب نوعاً من العبث، وحاشا لمبدع السموات والأرض، وفاطر الإنسان وموجد الكون على هذا النظام، أن يعبث بالإنسان، ذلك المخلوق الضعيف، ولا يصدر من هذا الرب العظيم إلاَّ كل كمال وخير.

قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ، بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[1].

إذاً فهذه المعالجات كلها من الله تعالى حق، ولها أهدافها وغاياتها.. ويتلخَّص جوابنا على قول من قال: "ماذا تفيد الشدائد في هذا الإنسان ما دامت نفسه لا تطهر من الأدران، ولا ترتد عما هي عليه من طغيان"؟.. بما يلي:

[1] سورة الأنبياء: الآية (١٧-١٨).

حب الدنيا رأس كل خطيئة:

إن السبب في عدم رؤية الحقيقة هو حب الدنيا: إذا أحب الإنسان الدنيا، فإن نفسه لا تتذكر إلاَّ ما تعي من محبتها، ولا تفقه إلاَّ ما تحتوي منها، فهي عندما يَمّمت شطر الدنيا.. اختزنت من الشهوات بقدر توغلها فيها، وغدت لها غطاء، فكان هذا الغطاء بمثابة حاجز يمنعها من سماع الحق. لذلك فحينما يلقى عليها شيء من الحق فلا يكون له وقعٌ فيها ولا تَهشُّ له، لأنها لم تسمع منه شيئاً لالتفافها لِمَا فيها، وبالتالي لا تفقه منه حديثاً:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[1].

ما دامت النفس متعلقة بالدنيا وشهواتها، معرضة عن خالقها،وعن الوجهة إليه، لا يمكن لها أن تطهر من أدرانها وانحرافاتها وشذوذها بوجه من الوجوه، فلا سبيل لطهارتها إلاَّ بإقبالها على خالقها وموجدها، وذلك بعد التوبة النصوح.

تحويلات آنيّة ليؤمن:

أما المرض والفقر، والشدائد والمصائب، فإنما هي وسائل تقطع

---

[1] سورة الإسراء: الآية (٤٥-٤٦).

النفس عن الدنيا، وتصرفها عن شهواتها، وتجعلها في شغل شاغل عنها، فلعل هذا الإنسان حينما ينقطع عن الدنيا بسبب شدة من الشدائد التي حلَّت به، ينيب إلى ربه ويتعرف إليه، وهنالك تتفتح أمامه سبل الإيمان، من بعد أن رفعت الشدائد من طريق النفس ما كان يعترضها من حواجز الشهوات.

المؤمن لم مجَّ ومقت لذائذ الفجور؟!.

فإذا صدقت النفس بطلب الحقيقة والحق، بعد أن مجَّت أساليب الغش والمكـــر والنفاق والخداع لأهل الدنيا، فأعرضتْ عن الدنيا وزينتها وزخرفها الغرَّار، وعن لذَّتها الكاذبة الغَرور، فطلبت كما ذكرنا الحق المجرَّد والحقيقة، فقد توصلت النفس إلى الإيمان، وأريد به: الإيمان بلا إلَه إلا الله، وتحققت به، فما أقرب وصولها إلى الطهارة، وما أيسر وما أهون الوصول إلى الكمال، فلا حاجة والحالة هذه لشدائد ومصائب وبليات، بل تنال سعادة تتلوها سعادات، فهي بأمان من غدرات الزمان، واطمأنت لمستقبلها الأبدي السرمدي بالله مَنْ آمنت به، ووثقت به واتكلت عليه، مَنْ بيده الزمان والمكان، والمستقبل الدائم في النعيم والغبطة الأبدية، مادام هذا الإنسان على استقامة، فأولئك هم الفائزون، وتلك لأيم الحق الحياة الراقية بأسمى مراميها. كل امرئ منّا، لا بل كل إنسان ذو وعي وإدراك، إذا ألَمَّ به مرض من الأمراض، أو نزلت به مصيبة من المصائب، تراه في مثل هذا الحال يعاف الدنيا ويكرهها، ولا تعود تخطر له شهواتها على بال، ولكن هل زالت الشهوات من هذه النفس

بالكلية يا ترى؟.. هل طهرت من أدراها؟.. سيكون الجواب على هذا السؤال نفياً!.

الحكمة من المصائب: فالمصائب أخمدت الجرثوم ودوَّخته وسترت العلَّة ستراً آنياً، وما هذه الكراهية التي حلت بالنفس تجاه الدنيا وشهواتها إلاَّ كراهية مؤقتة، قد لا تدوم طويلاً، فإذا لم تغتنم النفس الفرصة، وإذا هي لم تتعرف إلى الله تعالى، و لم تؤمن به من بعد الشدة، فما أسرع ما تعود الشهوة وتظهر في ساحة النفس من جديد، حتى أن ظهورها قد يكون أكثر وضوحاً ،وفتكها في النفس أشدُّ خطراً. ولذلك وتلافياً للأمر واغتناماً للفرصة، يجب على الإنسان إذا هو أصبح في حال الأمن بعد الخوف، والصحة بعد المرض، والرخاء من بعد الشدة، أن يبادر إلى التعرُّف إلى ربه الذي لم يجد ملجأً إلاَّ إليه، وموئلاً ومنجياً سواه.

فتح طريق الإيمان: يجب على الإنسان وقد استجاب له الله دعاءه، فبدَّله من بعد خوفه أمناً، ومن بعد مرضه صحةً وعافية، أن يسلك طريق الإيمان، وما أيسر هذا الطريق في مثل هذه الحالة. فالفرصة عظيمة، إذ النفس انضمت إلى الفكر، وأضحت سبل التفكير مذلّلة ميسّرة فيجب اغتنامها.

طهارة النفس:

وهكذا.. عندها إذا فكَّر الإنسان باحثاً عن الإيمان بلا إلّه إلا الله بصدق، بالنظر بالآيات الكونية وخلقه الجسدي، مَنْ خلقه؟!. سرعان ما يصل وهو في مثل هذه الحالة إلى ذلك المطلب العالي، فلا شك أن إيمانه هذا يجعله في حصن الاستقامة الحصين، فحيثما اتجه، وأنّى أقبل يرى الله تعالى شاهداً رقيباً، وتولِّد هذه الاستقامة لديه ثقة من رضاء الله عنه، فيقبل عليه تعالى، بوجهه الأبيض ويصلي الصلاة الحقيقية، وبهذه الصلاة، وبذلك النور الإلّهي الذي شاهده، تطهر النفس مما علق بها من جرثوم الشهوات الخبيثة، وينقِّيها ربها بنوره من أدرانها، تنقية متناسبة مع إقبالها.

الغاية من الشدائد:

أما وقد بيَّنا طريق الطهارة النفسية الصحيحة، وعرفنا المراد الإلّهي، والرحمة الإلّهية في سوق البلاء والشدة، اعتقد أنه أضحى من اليسير فهم بعض المراد من قوله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

---

[1] سورة السجدة: الآية (٢١).

[2] سورة الروم: الآية (٤١).

وبعض المراد من قصة أصحاب الجنة التي أوردها تعالى في سورة القلم، مبيناً فيها أن البلاء الذي أصاب أولئك المزارعين الذين تحدثت عنهم تلك القصة، كان سبباً في رجوعهم إلى الله تعالى، ورغبتهم إليه، مما عقَّب تعالى بقوله الكريم: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ. .﴾[1].

يريد تعالى بأن يعرِّفنا بأن الغاية من العذاب رجوع الإنسان عن غيِّه ورغبته إلى ربِّه، فيرجع الله عليه إثر هذه التوبة والإيمان، بالصحة والجاه والعز والمال لينفقه في وجوه النفع الإنساني، والخير للمعوزين، فيرقى دنيا وآخرة. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[2].

وإن لم يكتسب الفرصة، ففرح بانكشاف الغمة، وعاد من بعد المصيبة والشدة، إلى الانغماس في الشهوات والملذَّات، وارتكاب المحرمات، فبشِّره من بعد هذه المصيبة بمصيبة أكبر، وشدة أعظم. وما تزال المصائب تترى متزايدة في الشدة كي يرجع ويتوب، أو يموت إن بقي مصرّاً على البغي والإعراض، وقد خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين. قال تعالى:

[1] سورة القلم: الآية (٣٣).

[2] سورة النساء: الآية (١٤٧)

﴿ ..وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[1].

والحمد لله على كل حال، فهو الذي بيده الخير فقط، ولا هادي سواه.

والصلاة على رسوله الكريم ﷺ الذي أرسله هادياً للخلْق، ورحمة للعالمين

[1] سورة الرعد: الآية (٣١).

ماهية الجنة
نظرة سريعة لقصة سيدنا آدم عليه السلام

إن كلمة (جنَّة) اسم لفعل جنّ، وجنّ تعني: ستر وأخفى، وجنَّ الفلاَّح الحب، أي: ستره.

وجنَّ الليل إذا أظلم وأخفى ما فيه.

والمجنة هي: المقبرة التي تتوارى فيها الأجساد، ومنه الجنين الطفل عندما يكون في بطن أمه مخفيّاً عن الأنظار.

إذاً جنة الإنسان وما فيها من سعادة وسرور ونعيم هي في ذاته، فلا يشعر بها ولا يراها إلاَّ هو، لكن صورته الظاهرة تبقى مكشوفة، إلاَّ أنها مغمورة بالتجلي الإلٓهي الخفي عن عين الرأس، فتنعكس آثار قربه من الله بازدياد نعيمه، على مأكله ومشربه ومشهده، وكلما كان قربه من الله تعالى أكبر، كانت سعادته أعظم وأكبر.

على أنَّ الجنَّة لا تنعكس بنعيمها فقط على الطعام والشراب وغير ذلك، بل إن الجنة في حقيقتها هي:

الجنّـــة بالله: النظر إلى وجه الله الكريم خالق الجمال والروعة والجلال وأصله، فيها تكون السعادة وأيُّ سعادة، وبه تعالى يكون الجمال وأيُّ جمال، بل وبه الحق والخير والنعيم كلُّه.

إن الجمال الإلَهي ينبغي مشاهدته قلبياً، ولا يمكن تعريفه، ولا يمكن وصفه، ولو كان البحر مداداً لأقلامنا، لجف البحر قبل أن ننتهي من وصف إغداقات نعيم روعاته العظمى، بل لعجزنا عن وصف هذا الكمال والجمال، ولما أوفيناه بعض حقائقه.

وحتى النظر إلى وجه الإلَه الكريم على درجات، فالقريب يرى جمالاً لا مثيل له، والأقرب يرى أجمل، كالبحر كلما أبحر الإنسان وتعمَّق فيه، اكتشف المزيد من المشاهد الممتعة والعجائب والكنوز المذهلة. والسعادة التي يحياها القريب من الله تعالى، واللذة والنعيم الذي يتذوقه، يحوّله عن كل ما يشغل الناس، ليبقى بقلبه مع رب الوجود سعيداً، يلتفت المرء إلى ما حوله، فيرى كل شيء قد غدا جميلاً، لأنّ سعادته وسروره انعكسا على ما حوله من الأشياء، كذلك فأي عمل يقوم به تنعكس عليه آثار نفسه.

أما المعرض عن ربه فإنه يعيش في همٍّ وغم، بسبب ما انعكس في نفسه من حُجُبٍ عن الله، وما ينتج عنها من سوء عمله، وما يلقاه من سخط وتقريع يتنزل عليه بسبب عمله الضار.

وحيث أن الفكر يتعطل عند الإنسان في الآخرة لعدم الحاجة إليه، كما يتعطل في حالة النوم، فلا يبقى إلاَّ عقله، والعقل هو ما تشاهد النفس وما تعيه. وبما أن النفس هي ذات الإنسان الخالدة، لذلك فإن ما عقله في الدنيا من خير أو شر، يظلُّ مطبوعاً فيها، فإذا كان خيراً، يغدو الإنسان سعيداً مسروراً، ويظلُّ وجهه مبيضّاً بعمله تجاه ربه، فيُقبل عليه، فهو في الجنَّات يتنعَّم، وإذا كان شراً فيُخزى به ويمسي وجهه مسوداً، وبخجله وبسبب

خزيه بمشاهدته لعمله السيئ، يُعرض عن ربه خجلاً، فينحجب عنه نعيم التجلي الإلّهي، وبالتالي ينحجب عن الحق. هذا وبما أن الآخرة لا يوجد فيها إلاَّ الحقائق وبما أن هذه الحقائق، لا تُرى إلاَّ بنور الله، فإنّ المنحجب عن هذا النور سواء أكان في الدنيا أو في الآخرة، يظلُّ في عمى عنها، ولا يرى إلا الصور في دنياه، وهي يوم القيامة إلى الفناء والزوال..

﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

﴿..فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2].

إن كل شيء مما نراه في الحياة الدنيا يتبدل ويعود إلى حالته الطبيعية في الآخرة ﴿..كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ..﴾[3]، أي تحيط النفس بالجسد.

الصور والحقائق:

وبما أن الإنسان المعرض عن ربه في الدنيا لم يرَ إلا صور الأشياء، فلا عجب إذا جاء يوم القيامة أعمى، لأنه كان في الدنيا أعمى عن حقيقة الأشياء، لا يعلم إلاَّ مظهرها الخارجي بعين الرأس لا بعين الصدر، وحيث أنه لم يكن له بقلبه في الدنيا نور يمكِّنه من رؤية حقيقتها، كذلك فإنه في الآخرة يظل أعمى القلب عنها، لأنه لم يحصل على ذلك النور بإيمانه..

---

(1) سورة الإسراء: الآية (٧٢).

(2) سورة الحج: الآية (٤٦).

(3) سورة الأنبياء: الآية (١٠٤).

وعلى هذا فإن كلّ نفسٍ تحيط بجسدها يوم القيامة، فإذا كان صاحب هذه النفس مغموراً بالكمال، فإنّ حقيقته تظهر جميلةً رائعةً، أما إذا كان من أصحاب الجحيم، فإنه يظهر قبيحاً، لأنّ الجمال والقبح يصبغ هيئة النفس اللابسة للجسد بعملها، فيظهر في الآخرة، بعكس ما كانت عليه في الحياة الدنيا.

لا فكر بالآخرة بل نعيم مقيم:

وبما أن الفكر يتعطل يوم القيامة لعدم الحاجة إليه يومئذ، أي أن عملية التذكر تتوقف، ولا يعود الإنسان قادراً على تذكر أي شيء، فالمؤمنون في الجنة على ربهم يُقبلون، عندما تقوم الملائكة الكرام بوحي من الله بتذكيرهم بالأعمال الطيبة التي قاموا بها في حياتهم الدنيا فيقبلون بها على الله، وهذا الإقبال يجعلهم يرتقون بها من جنة إلى جنة أعلى وأسمى. وبما أن الله سبحانه وتعالى ليس له نهاية، كذلك فإن رقي الإنسان في الجنة وعطاءاته لا حدَّ ولا نهاية له دوماً.

لهم ما يشاؤون ولدينا مزيد:

فقد انتهى التكليف، وتنامى العطاء بلا حدود مع التشريف. ويتكرر نفس العمل على المؤمن بعد مرور كافة أعماله الطيبة عليه، فيتكرَّر العمل الأول ثانية،فلا يذكر أنه سبق ورآه بل يراه جديداً، لأنه في حالة عدم تذكر، فيقبل به من جديد على الله، وينال المزيد من الجنّات:

هذه "مشيئة الله" ديموميّة العطاء والإكرام بديمومة الجنّات الأبدية:

﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1]. أما لو بقي فكره قائماً عاملاً، لتذكَّرَ أن هذا العمل مرَّ به، عندما يدور دولاب أعماله عليه ويعود العمل الأول فيذكر أنه مرَّ به فيتوقف رقيُّه، إذ لا يكتسب ثقة بنفسه به. ولكن بتوقف آلية التفكير، فلن يتذكَّر مروره به، فيثابر سموّاً وارتقاءً لما لانهاية له قطْفاً من الجنَّات[2].. وهذا ما حدث حتى كان سبباً في خروج سيدنا آدم عليه السلام من جنة الإقبال والعروج المتسامي على الله للتوقف على حال واحد. فهو عندما أكل من الشجرة المادية كان في حالة لا تسمح له بالتذكر أو التفكير، لأن نفسه كانت محيطة بجسده الشريف.. فلما تبعت نفسه مادة الشجرة، دخلت إلى جسده عن طريق الفم وتوضعت في قفصه الصدري، وأصبح يتصل بالكون عن طريق الجسد وهنا بدأ الفكر يدور كما دارت باقي الأجهزة والأعضاء، عندئذ استطاع أن يتذكر وصية ربه بألاّ يقرب تلك الشجرة.

---

[1] سورة ق: الآية (٣٥).

[2] **لطفاً**: انظر كتاب محمد أمين شيخو يردُّ على معارضيه الفصل الخامس حقيقة الجنة.

وادي النسيان:

إذاً إن خروجه عليه السلام لم يكن بسبب عصيانه، لأنـّـه كان في حالة عدم تذكر، وكان في حالة النسيان، وما كان ذلك بملْكه، بل كان بإرادة الله تعالى وتدبيرٍ منه، ليبيِّن له ولذريته من بعده عداوة الشيطان، وليتخذها موعظة، ويكون حذراً من هذا الخبيث الماكر، الذي امتلأ قلبه حسداً وحقداً وغيظاً عندما رأى المكانة والمنزلة التي أعدَّها الله لسيدنا آدم عليه السلام عن استحقاق، ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[1]. أي: لم نجد له عزماً على المعصية.

لقد ظن سيدنا آدم عليه السلام أنه عصى ربه عندما ذكّره تعالى بنهيه عن الشجرة، لكنَّه عندما اطَّلع على الحكمة الإلَهية التي من أجلها خرج إلى الدنيا، وأن خروجه لم يكن ليحدث لولا إرادة الله ،وأنها تدبير منه تعالى، ولم تكن بسبب نيَّةٍ من سيدنا آدم عليه السلام على مخالفة أوامر ربه، بل كانت رغبة ملحَّة منه في الخلود إلى شهود ربه، بسبب حبه الشديد لله، عندما أقسم له إبليس بأن أكله من الشجرة سيجعله في خلود دائم مع ربه، وعليه فإن ما ورد في قوله الكريم: ﴿. .وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾[2]!!.

---

[1] سورة طه: الآية (١١٥).

[2] سورة طه: الآية (١٢١-١٢٢).

إنما جاء على صيغة استفهام استنكاري على ما دسَّه اليهود والمنحرفون من النصارى من نسب المعصية إلى سيدنا آدم عليه السلام.

العاصي يكرم!...

لأنه ليس من المعقول أن يعصي المرء ربه ويسلك سُبل الغواية، فيجتبيه ربه على عصيانه بدل القصاص والعقاب، بالاجتباء ومنازل القرب بسبب عصيانه!.. بل ويتوب عليه ويهديه!. فهذا تناقض ولا يكون، لكنه ردٌّ على دسوس اليهود القديمة، بل وعلى النصارى، من نسبة المعصية لنبي الله سيدنا آدم عليه السلام، الذي اصطفاه بعلمه تعالى. ﴿ . . اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . . ﴾[1].

فهل يعقل لمن يعصي أن يُجتبى؟. أي: فعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه؟!. فما هذا القول؟. سيدنا آدم عليه السلام معصوم دائم الإقبال على ربِّه وحاشاه من المعصية، والله اصطفاه على علم كامل، ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]. **سميع**: لأقوالهم، **عليم**: بأحوالهم ونيَّاتهم فاصطفاهم تعالى لطهارتهم وعلو نيَّتهم وصدقهم معه تعالى.

---

[1] سورة الأنعام: الآية (١٢٤).

[2] سورة آل عمران: الآية (٣٣-٣٤). ولطفاً انظر كتاب عصمة الأنبياء للعلامة محمد أمين شيخو لتعلم حقيقة آدم عليه السلام بالتفصيل.

فكلُّ من يظن بسيدنا آدم عليه السلام المعصية والمخالفة عن قصد وعمد، فمعناه أنه ينكر أنَّ الله تعالى سميع عليم، لأنه اختار من سيعصيه، بل يظن به تعالى الجهل وحاشا وكلاَّ، وهذا سبب الكفر، إذ ينكر أن الله مطَّلع على من أرسله خليفة له على خلْقه من الملائكة والجن، ثم للإنْس من ذريته.

مجيئنا لدنيانا خير

لقد كان سيدنا آدم عليه السلام في جنة، لكنه بمجيئه للدنيا واكتسابه للأعمال الصالحة، سينال بدل الجنة الواحدة التي كان فيها، جنَّات كبرى، إذ سيرقى بسبب الثقة التي كسبها من أعماله المرضية عند ربّه، رقيّاً متتالياً في الجنَّات المتتاليات المتواليات المتعاليات، والتي ما كان لينالها لولا مجيئه للدنيا دار الأعمال الطيبة، التي كانت سبب الارتقاء والمعارج الكبرى بالجنات بالآخرة.. فحاله بعد الدنيا، سيكون خيراً من حاله الأول بالتوقّف على جنة كبرى واحدة، استبدلها بمجيئه لدار الأعمال، بجنّات عالية، قطوفها دانية، تتلوها جنّات أعلى وأسمى وأرقى، ودوماً بازدياد، فحاله بعد مجيئه للدنيا، خير من حاله الأول في جنَّة واحدة، كما قال تعالى: ﴿..وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ..﴾[1].

[1] سورة الأعراف: الآية (٢٦).

أي: خير من الحال الأول الذي كان فيه سيدنا آدم عليه السلام قبل الهبوط ،وقبل مجيئه لدار الأعمال المجيدة.

وأيضاً فالحال الذي صرتم إليه أيها المتقون، خير من الحال الأول، لأنه سبب لعمل المعروف والإحسان، وهي أسباب الرقي في الجنات. فلا خطأ ولا عصيان صدر منه عليه السلام أبداً وحاشاه، إنما ترتيبٌ من الرحمن الرحيم، لترقى الملائكة بسبب مشاهدتهم لعظيم حبه لربه الذي أنساه وصيته، وهم عن مثل هذا الحب العظيم قاصرون، فسجدوا له عن شهود، ولتنكشف عداوة الشيطان لنا، لنحذر أساليبه الماكرة، وليحوز عليه السلام جنَّات عُلا لا نهاية لسموِّها وعلوِّها.. والحمد لله ربِّ العالمين[1].

---

[1] لطفاً انظر تأويل الأمين للعلاَّمة محمد أمين شيخو "عطالة الفكر سبب الخروج من الجنة".

لماذا لا نــرى الله تعالى بأعيننا وكيف نؤمن به ونحــن لــم نـــره؟.

إن النور الإلّهي لا يستطيع الإنسان تحمُّله مباشرة إذا لم تكن له سابقة أهلية واستعداد، ومن رحمة الله تعالى أن يحجب نوره عن الناس الذين لم يؤهِّلوا أنفسهم، و لم يعدُّوها الإعداد اللائق.

الرؤية: أرأيت الكأس من الزجاج ذي البرودة الشديدة، إذا أنت لم تعدَّه الإعداد المناسب بتسخينه رويداً رويداً، فإنه سرعان ما ينصدع لمجرد صب الماء الساخن فيه، وهنالك يغدو عديم النفع، لا تمكن الاستفادة منه، ولو أنه عُرِّضَ تدريجياً للحرارة، حتى أصبح بحال ملائم، لما ضره الماء الساخن ولما أثَّر فيه.

أقول: وكذلك الإنسان، إذا هو لم يعد نفسه، الإعداد الكامل والتهيؤ المناسب للتجلي الإلّهي فما أسرع أن يصعق ويموت، إذا واجهته بارقة من نور الله، إن لم تكن لديه الأهلية والإعداد السابق،كما صار إليه حال بني إسرائيل الذين ذهبوا بصحبة رسولهم إلى الميقات المعيّن من الله تعالى بناء على طلبهم، وكانوا إذ ذاك سبعين رجلاً نوَّاباً عن قومهم، فلما أضحوا في المكان، وفيما هم ينظرون بنور سراجهم المنير، موسى عليه السلام للحضرة الإلّهية، انتابهم الخجل من تقصيرهم وعدم طاعتهم لرسوله، فأخذتهم الرجفة، وماتوا جميعاً، إلاَّ سيدنا موسى عليه السلام، وبسبب

ديمومة طاعته لربِّه، وعدم انحرافه قيد أنملة عن أوامره تلك كانت سببَ عصمته وصفائه ونقائه، لذا بقي في الميقات مشرقاً ثابتاً منفرداً لوحده. شاخصاً ببصيرته لجلال جمال ربه، حبّاً وهياماً وثباتاً، فهو لم يتزعزع. ونحن وإن كنَّا نقرِّب لك الحقيقة بأمثلة، غير أننا لا نستطيع أن نجعلك تدركها الإدراك المطلوب، لأنَّ هذه الأحوال أبعد من أن تدرك بمثال، أما إذا أنت سلكت طريق الإيمان الذي أرشدك إليه ربك، وإذا أنت تابعت التفكير في فراق هذه الدنيا الذي لا بدَّ منه، وفي التربية والآيات الكونية ، ومن صنعها وسيَّرها، حتى وصلتَ إلى التقوى، التي هي الاستنارة الدائمية بنور الله، بالصحبة النفسية مع رسول الله ﷺ، لتبدَّت لك بوارقٌ من العظمة والقدرة الإلَهية، ولرأيت من الرأفة والرحمة، والعلم والحكمة، والفضل والإحسان، وغير ذلك من الأسماء الإلَهية، بل لشاهدت من الجمال والجلال الإلَهي، أضعاف أضعاف ما يمكن أن تتصوره، وهناك تقدِّر خالقك بنسبة ما شهدتَ من أسمائه الحسنى، وترى أنك مهما أردت أن تعبِّر عما شاهدته فلست بمستطيع إلى ذلك سبيلاً.. لكنَّها أذواق ومشاهدات، ملأت نفسك، فجعلتها تخرُّ ساجدةً لما شاهدت من عظمة مَن لا تنتهي عظمته، وجمال وجلالَ من لا أوَّل لجماله وجلاله، وسائر أسمائه ولا انتهاء.. والمشاهدة لا تتمُّ إلاَّ مع المشاهدين، فبانضمام نفس المؤمن لنفس رسول الله ﷺ السّراج المنير بالصلاة، يسري النور

الإيمان:

الإلهي لنفسك، عندها ترى ربك بعين البصيرة، بنفسك المستنيرة، لا بالبصر، أي بعين الرأس.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ.. ﴾[1].

وهكذا فمعرفة الله، وشهود حقيقة الرسل الكرام، لا تكون عن طريق الحس والرؤية بعين الرأس ،ولكن بطريق الاستدلال والتفكير الموصل إلى العقل، ومشاهدة طرف من الأسماء الحسنى بعين النفس(عين البصيرة)، بصحبة نفس السراج المنير عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهذه هي الشفاعة الحقة:

قلوب العارفين لها عيون ترى ما لايراه الناظرون

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ.. ﴾[2].

«نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا»[3].

وقول سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين رضي الله عنهم كما ورد في الأثر: «نأكل ونشرب ونلعب ونطرب ونحن في محادثة قلبية مع الله».. وكلما ازداد الإنسان في هذا الطريق تقدماً، ازداد إلى خالقه شوقاً وعشقاً. وقد سألوا سيدنا علياً عليه السلام: هل ترى ربك؟. فأجاب: وهل أعبد ما لا أرى؟. وقوله: والله لو انكشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

---

[1] سورة يوسف: الآية (١٠٨).

[2] سورة الحديد: الآية (٢٨).

[3] أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٦ عن عطاء.

الشهود الأعظم:

وبني الإسلام على خمس، أساسها شهادة أن لا إلّه إلا الله.. فتمت هذه الشهادة يقيناً بمشاهدة أن محمداً رسول الله. فالمسألة مسألة شهود لبلوغ التقوى، والإسلام دين حقائق، وبقدر عشق المؤمن وشوقه لربِّه يتوسّع في مشاهدة الأسماء الإلّهية الحسنى وليس للنفس حدٌّ تقف عنده ولا وسعة معينة لا تعدوها بل إن نفسك أوسع مما تظن وتتصور، إنها أوسع من السموات والأرض بما فيها وأكثر تحمُّلاً للنور الإلّهي من الجبال الراسيات جميعها، وإذا كان الجبل العظيم يتصدع ويندك من خشية الله فالنفس المؤمنة المرافقة لنفس رسول الله ﷺ تحصل لها الخشية من الله وتشعر وتشهد عظمة وجلال الله وتخشع له ولكنها تثبت ولا تفنى بالله بل تبقى بعد الفناء بالبقاء بالله العلي الأعلى الوهاب .

اليقين:

وما الصلاة إلا صلة العبد بربه، بصلةِ النفس بنور خالقها بارتباطها برسوله الكريم والصلاة معراج المؤمن.. وفي قوله تعالى: ﴿ . .لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[1]. "ولا يتم اليقين إلا بالشهود. وخير ما وقر في النفوس اليقين، تعلّموا اليقين بمجالسة أهل اليقين". وإذا كانت السماء على عظمتها وكبير سعتها لا تتسع للمعرفة التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، فالمؤمن أعظم سعة بقلبه وأوعى من السماء وفي

[1] سورة الرعد: الآية (٢).

الحديث القدسي الشريف: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**».

هذا الإنسان الذي حمل الأمانة التي خشيت من الفشل في حملها الكائنات جميعها وحَمَلْتَها أيها الإنسان.

هذا أنت أيها الإنسان وهذا هو حالك وذلك هو شأنك عند الله، فأنَّى تتحوَّل عنه تعالى وأنَّى تؤفك؟. وكل ما خلا الله إلى زوال.

الإيمان:

وهل لك من إلَه غير الله أم لك من خالق ورب رحيم سواه يرشدك إلـــى الطريق السوي الذي تشهد فيه طرفاً من الأسماء الإلَهية، إن طلبته بصدق وفكرت كما فكر سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى توصل لربه عندها تقول أشهد أن لا إلَه إلا الله، عن صدق وعن شهود حقيقي يقيني، فتصبح من أسعد الناس وأسماهم بشهادة أن محمداً رسول الله سراجك المنير بصلاتك. فإن أبيت أن تأتيَ البيوت من أبوابها فتتطلب رؤية الله تعالى دون سلوك طريق الحق وصحبة أهله ودون إيمان ولا تقوى ويحلم سبحانه عليك ولو شاء لتجلَّى لك بشيء من نوره فذابت نفسك وذهبت شعاعاً كما يذوب الشمع ولصعقت وفارقت نفسك جسدها. أو لغدوت من المجاذيب الحقيقيين بحب الله ولفقدت وعيك وتفكيرك (وهذا النوع من الجذب الحقيقي بحب الله لم يبقَ له أثر من أوائل القرن العشرين وبزوغ الحضارة والفتن المادية ؛ بل عمليّاً كل جذب في عصرنا إنما هو جذب شيطاني لا أثر لحب الله فيه).

أقول: فهو سبحانه لا يري طرفاً من أسمائه إلا لمؤمنٍ تقيٍ ذي شوق وعشق لتلك المشاهدات، يريه بقدر متناسب مع شوقه وعشقه مما يستطيع له تحملاً، ويكون له مستعداً.

ويتم ذلك بعد الإيمان بواسطة رسوله ﷺ، وهو العين التي بها يُرى الحق تعالى وأسماؤه العليّة فيعرج به ﷺ بلطف إلى الله، وتلك هي التقوى، أي الاستنارة الدائمية بنور الله.

أما النفس المعرضة فلا يريها تعالى من ذلك شيئاً، رحمة بها، وعطفاً عليها لعدم ميلها وشوقها، فيبقى إيمانها صورياً وألفاظاً تقليدية عارية عن الحقيقة، فلا تطمئن النفس المعرضة إلى ما يتلوه رسول الله ﷺ، ويبلغها إياه، عن لسان حضرة الله، كحال بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1].

إذن: فاطلب بصدق، وسلوك إيماني ذاتي، بحثاً عن الوصول للإلّه من ثنايا صنعه، تصل للشهود والاستنارة الدائمية اليقينية، لقوله تعالى في الحديث القدسي الشريف: «ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كلَّ شيء، وإن فتُّك فاتك كلُّ شيء، وأنا أحبُّ إليك من كلِّ شيء»[2].

---

[1] سورة البقرة: الآية (٥٥).

[2] الزبور ، إحياء علوم الدين: الجزء الرابع– ص٤٦٩ بلفظ (من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا) .

وفي كتاب (الزبور المقدَّس) المنزَّل على سيدنا داود عليه السلام: «**أنا المطلوب اطلبني تجدني، أنا المحبوب اطلبني تجدني؛ ولا تطلب سواي فلا تجدني**».

ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل[1].

[1] لطفاً انظر حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين "بحث الإيمان".

هـل النبـوة هبـة؟.

الأنبياء والمرسلون بشر مثلنا في الخلْــق، لكن ما الذي ميَّزهم على غيرهم حتى أصبحوا أئمةً ومهبط التجلي الإلّهي، وجديرين بتلقي رسالات ربهم، ودعوة أقوامهم إلى خالقهم، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء للسعادة والهناءة والحبور؟..

خصَّ الله تعالى الإنسان عن بقية المخلوقات بجهاز التفكير "الجوهر الثمين"، فالإنسان وحده هو الكائن المفكر بين كافة المخلوقات طرّاً. فإن استفاد من تفكيره حقَّ الاستفادة، للغاية التي خُلق من أجلها تجاه حياته الأبدية، ومستقبله الأخْروي، سما فوق العالمين، دنيا فآخرة.

التفكير أساس:

الأنبياء والمرسلون بشر، تميَّزوا عن سواهم باستفادتهم من هذه الجوهرة الثمينة أتمَّ الفائدة، فمنذ أن ظهر وعيهم، نظروا في أنفسهم وفيما حولهم من آيات، مفكِّرين صادقين، طلباً للوصول بالأصول، لخالقهم العظيم، نظروا في السماء وما فيها.. الشمس.. القمر.. النجوم.. والأرض وما عليها، فأوصلهم نظرهم، وهداهم تفكيرهم، إلى الإيمان بالخالق المربِّي المسيِّر لهذا الكون ولهم... هنالك خشعت نفوسهم، وسجدت لهيبته تعالى، وعكفت في أبواب محبته، وثابروا دواماً على إقبال على الله، وعلى شهود أنوار ذي الجلال والجمال،

لا ينقطعون عنه لحظةً، لا ليلاً ولا نهاراً «**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**»[1]، وأصبحوا ذوي بصائر نافذة، رأوا الحق من الباطل بنور الله تعالى فحُفظوا وعُصموا من الزلل والخطأ بشخوص بصائرهم إلى مبدع الكمال، وخالق الجمال، ذي الجلال والإكرام، فلم ينقطعوا عنه طرفة عين فعُصموا به تعالى، وهو منبع كلِّ كمال.. وامتلأت قلوبهم رأفةً ورحمةً، عطفاً وحناناً من لدنه، بحبِّهم وإقبالهم على الله، فطلبوا هداية الخلْق، وضحوا في سبيل خالقهم، بكل غالٍ وثمين، وضربوا للنَّاس مُثُلاً عليا في البطولات المشحونة بالجهاد الإنساني المقدَّس، وفي الفرار من الرذيلة، فرار الإنسان من النار. وفي اقتحامهم غمرات الموت في سبيل إنقاذ أخيهم الإنسان مرضاة لله، وفي انطلاقهم للأعمال الصالحة العظمى.. صارت لهم ثقة فإقبال عظيم على خالقهم، فاشتقوا من الله تعالى أسمى آيات الكمال.

وقد ضرب لنا تعالى أمثالاً، وضروباً من التضحيات التي قدَّموها، لعظيم حبِّهم به، وطلباً لرضاه تعالى، فهم لم ينالوا الرسالة والنبوة هبةً، بل باجتهادهم وبتفكيرهم العالي، وجهادهم الإنساني المتواصل في التضحيات المجيدة، والأعمال الجليلة.. وبكمالهم العالي الرفيع، وعظيم محبتهم لله، صاروا أهلاً لأن يصطفيهم تعالى، وجديرين بأن يختارهم ويجتبيهم، ليكونوا هداةً لخلْقه، قائمين بتلقي رسالاته، وتبليغها لعباده، "فهم صفوة الله من خلْقه، وخيرته من عباده".. اصطفاهم عن أهليتهم العليَّة.

---

[1] أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٦ عن عطاء.

إبراهيم عليه السلام:

سيدنا إبراهيم عليه السلام مثلٌ أعلى، وقدوة مثلى من تلك المثل العليا، ضربه لنا تعالى ليُبيِّن لنا أن المسألة ليست جزافاً، بل بالعدل، بالحق والاستحقاق.. فمنذ أول نشأته، استخدم تفكيره العالي متأمّلاً بنفسه، وبالكون وما فيه من آيات، فنهض عما كان فيه قومه من وثنية، وتوصَّل لشهود وجود ربه، وللإيمان بلا إلٓه إلا الله إيماناً حقيقياً ذاتياً، وبتصميم وإرادة لشهود المنعم العظيم المتفضِّل جلَّ وعلا.

وقد ذكر لنا تعالى كيف أتمَّ الكلمات التي ابتلاه بها ربُّه، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ . . ﴾[1].

ليست المسألة جزافاً، بل بالعدل والحساب، لما طلب سيدنا إبراهيم الولد ورُزِق بإسماعيل أُمِرَ بأن يذهب إلى وادي مكة..

﴿ . . بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ . . ﴾[2].. إلى الصحراء.. يلقيه هناك، فأطاع.. لما كبر إسماعيل، وظهرت عليه مخايل النبوة، عشقه، عندها أُمِرَ بذبحه!. لكي لا يبقى في قلبه الشريف إلاَّ حب الله فلا حبَّ لولد مهما سما وعلا ليظهر أمام حبه العظيم لربه أصل ومنبع كل حب وخير وحق.

فهذا مثلٌ عن بذل سيدنا إبراهيم وتضحياته عليه السلام، طاعة لله وحبّاً به، وعطفاً على عباده ورحمة. قال تعالى :

---

[1] سورة البقرة: الآية (١٢٤).

[2] سورة إبراهيم: الآية (٣٧).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ولما همَّ بذبحه: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا ..﴾: للأمر الإلٓهي ﴿..وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: ظهر صدق سيدنا إبراهيم العظيم جليّاً.

﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ..﴾: وكلمة (أَنْ) تحمل معنى السرعة: أن توقف يا إبراهيم.. ﴿..إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[1]. وكذلك ظهر صدق سيدنا إسماعيل العظيم عليه السلام، طاعةً لله، وطلباً لرضاه، بخضوعه للأمر الإلٓهي بالذبح. فقال سمعاً وطاعةً يا رب، فابنه أيضاً استجاب، وبذلك ظهر صدقه واستسلامه لله، عندها نال الرسالة.

كلمة: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾، تبيِّن أن العطاء الإلٓهي إنما هو مبني على قواعد ثابتة وقوانين.. كذلك أنتم يا عبادي، لا بد من ظهور صدقكم وعملكم، وهكذا الخلْق كلهم عباده، كل من سعى نال..

فكيف يذهبون إلى القول بأن تفسير القرآن لا يصح إلاَّ بناءً على ما نسمعه من المفسِّرين، وكثير من المفسِّرين، قالوا بأن الأنبياء وُهِبوا النبوة هبة،

---

[1] سورة الصافات: الآية (١٠٢-١٠٥).

وقالوا أيضاً أن رسول الله ﷺ جاءه الملك وشقَّ له صدره وأخرج له حظَّ الشيطان[1]!، مع أن الله يقول :

تضحيات لنوال النبوة:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ..﴾ فلما طبَّق ذلك بالتمام:

﴿..قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾ الآن أصبحت أهلاً للإمامية والرسالة، أي بعد الامتحان، وظهور صدقك معي وعملك وعطفك على عبادي، فلما أقبلت ونلت الكمال حزت ذاك المقام. ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ :يا رب اجعلهم أئمة. ﴿قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[2]: الظالم لنفسه لا أعطيه ذلك المقام، أي لا يكون إماماً.. العطاء كله ضمن عدالة، وضمن اجتهاد.

هذه تضحية من جملة تضحيات كثيرة، ذكر منها تعالى تحطيمه لأصنام قومه، ونتيجة ذلك عرَّض نفسه للحريق حبّاً بإنقاذ العباد لإخراجهم من الظلمات إلى النور لولا أن جعل الله النار برداً وسلاماً.

---

[1] لطفاً انظر كتاب حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين بحث "حادثة شق الصدر".

[2] سورة البقرة: الآية (١٢٤).

إذاً لم ينل سيدنا إبراهيم عليه السلام الرسالة والإمامية هبةً، بل بالحق والعدل، ضحَّى بالدنيا وما فيها طلباً لرضاء الله بعد أن سلك بمدرسة التفكير بالكون، عندها أعطاه الله ما أعطاه. مثله كمثل غيره من الأنبياء والرسل الكرام: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ. . ﴾[1].

مثل آخر قصَّه الله علينا من حياة أنبيائه وتضحياهم[2]..

سيدنا يوسف عليه السلام كيف كان في قصر عزيز مصر مُنعَّماً، فهو مُتبنَّى العزيز وكل ما في الدنيا من نعم تحت نواله.

راودته امرأة العزيز، وهي في ريعان شباها، وهو في فتوته، فاستعصم وطلب السجن.. آثره وما فيه من حجز للحرية وضيق في المأكل وخشونة العيش وصعوبة الحياة عمَّا هو فيه من عزٍّ وترف.. آثره طلباً لرضاء الله وهرباً مما تدعوه إليه نسوة سادة مصر وبناهن، مضحِّياً بالدنيا وما فيها، راضياً بالسجن الذي لا يعرف له نهاية.. فكم ضحَّى، وكم بذل، طلباً لرضاء مولاه، عندها اصطفاه الله بالرسالة، وجعله منقذاً لعباده.

وكذا سيدنا موسى العظيم عليه السلام قد سلك مدرسة الإيمان منذ فتوته أيضاً.

كما كان مُريداً عند سيدنا هارون عليه السلام، وهو ما يزال يترعرع في أحضان فرعون، فهو ابن الإلّه المزعوم فرعون، وكل شيء تحت سيطرته،

---

[1] سورة الأنعام: الآية (٩٠).

[2] لطفاً انظر كتاب عصمة الأنبياء للعلاَّمة محمد أمين شيخو قدس الله سره .

وفي خدمته، والمملكة تنتظره بعد موت أبيه فهو "متبنَّى" فرعون.. لكنه كان يترك القصور، نافراً من الراحة والرفاهية، غير ملتفت لما بين يديه من دنيا عالية، ويذهب إلى مدرسته الكونية باحثاً عن موجد الكون، ليشكره على فضله وإحسانه وإنعاماته.. كان كل سعيه تجاه ربه خفية عن أعين الجميع، لا يعلم به إلاّ الله تعالى:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ..﴾[1]. أين كان؟. في خلوته.. مفكِّراً بخلْق الله.. وعظمة الخالق وعالي سناه، خرج والناس نيام، وعاد قبل أن يستيقظوا لأعمالهم صباحاً، وهذه سيرته، حتى أتاه اليقين من ربِّ اليقين، قال تعالى:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وكلمة ﴿ ..وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: تبيِّن أن العطاء الإلّهي إنما هو مبني على قواعد وقوانين، فالله لا يؤتي الحكم والعلم إلا لمن كان صادقاً، وعلامة الصدق العفاف عن المنكرات، تقديم الأعمال الطيبة والإحسان، والتضحيات في سبيل نصرة الحق وإرضائه تعالى، ولابدَّ من الإيمان لتحقيق ذلك.

---

[1] سورة القصص: الآية (١٥).

[2] سورة القصص: الآية (١٤).

شجاعة رسل الله

ولقد بين تعالى مباشرة بعد هذه الآية، شيئاً مما قدمه هذا النبي الكريم، من أعمال يستحق بها ذلك العطاء، فذكر لنا قصته مع أحد زبانية فرعون: كيف هبَّ سيدنا موسى عليه السلام لنصرة الإسرائيلي الذي يحضر عند سيدنا هارون عليه السلام بالدروس، حينما كان أحد زبانية فرعون يحاول النيل منه معتدياً عليه، بالرغم من علم سيدنا موسى عليه السلام أنه بانتصاره للحق، سوف يكشف أمره لفرعون وقومه بأنه إسرائيلي الأصل، "غريم وعدو فرعون"، وفي ذلك خسارة لكلِّ ما هو فيه من عزٍّ وجاهٍ وسلطان؛ ومن حكمٍ للبلاد ينتظره بعد موت فرعون، و بتضحيته والدفاع عن الحق تعرَّض للخطر الكبير. فحتماً سيقتله زبانية فرعون، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ..﴾[1]. ولكن ولشدة قوة الحق بنفس سيدنا موسى عليه السلام كانت ضربته قاضية على ذلك المعتدي.. فالتفت سيدنا موسى عليه السلام للإسرائيلي الذي كان من شيعته: (أي من الذين يحضرون معه دروس سيدنا هارون عليه السلام صورةً كالمنافقين)، وأخذ يعظه ويحذِّره عندما رأى ما حلَّ بهذا الظالم

---

[1] سورة القصص: الآية (١٥).

فقال: ﴿. .هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ. .﴾ أي أن خصمك مات وحلَّ به ما ترى بسبب متابعته للشيطان، فاحذر أن تطيع الشيطان في ظلم أحد، لئلا يصيبك ما أصاب خصمك. ﴿. .إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾.

إذ أغرى خصمك للتعدي عليك أو على عرضك أو على بنيك، إذ كان آل فرعون يذبحون أبناء بني إسرائيل ويستحيون نساءهم، وكانت النتيجة هلاك هذا المعتدي. وقد أدرك سيدنا موسى عليه السلام أنه عرَّض نفسه للإعدام، إن انكشف أمر قتله للمعتدي الذي هو من جنود فرعون، وكان يبغي الاعتداء على حياة وعِرْض الإسرائيلي، فأوقف سيدنا موسى عليه السلام شرَّه..

لأن قتله خير من بقائه لما يجري على يده من أذى، فأوقَفَهُ عنه سيدنا موسى عليه السلام، مضحِّياً بحياته العالية الكريمة، وجاهه العريض، هنالك دعا الله أن يحفظه من شرِّهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: عرَّضت نفسي لإيذاء هؤلاء الظَلَمة، وقد كنت من قبل آمناً مطمئناً..

﴿. .فَاغْفِرْلِي. .﴾: أي: فاحفظني من شرِّهم.

فعلى المؤمن بحال الشدة، أن يلتجئ إلى الله ويطلبه ليقيه الشرور ويحفظه.

﴿. .فَغَفَرَ لَهُ. .﴾: ستره من شرِّهم، إذ المغفرة هي الستر، ومنها المغفر الذي يضعه المحارب على رأسه، ليستره من الضرب.

ورغم ما تعرَّض له سيدنا موسى عليه السلام من خطر الموت لم يتراجع عن مبدئه في نصرة الحق: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: المجرمين كفرعون وآل فرعون المعتدين على الإسرائيليين، ويُثبت صدقه عودتهُ لعمله البطولي في اليوم الثاني مضحّياً بنفسه في سبيل نصرة الحق ورفع الظلم ،وبذا فقد ظهر صدقه بالتضحية على الوقوف ضد الباطل وأهله عن عمدٍ وسبق إصرار ولو كلَّفه ذلك خسران المُلْك والحياة وفرَّ بحياته ناجياً من الظلم والظلاَّم.

ثم كان أن هجر البلاد كاملة..

هجر الدنيا ونِعَمها وترفها.. إلى سيدنا شعيب عليه السلام، حيث عمل بالرعي، بعد أن كانت المملكة تنتظره كحاكم مطلَق لها، بما أنه الابن الوحيد للإآله المزعوم "فرعون".

لكنه ضحَّى بكلِّ ذلك، فأدخله الله بالمدرسة الثانية جزاءً لتضحياته. وهي مدرسة سيدنا شعيب رسول الله، بعد مدرسة سيدنا هارون عليهما السلام وبخلواته أثناء رعايته الغنم، وبأعماله الجليلة التي لا تقلُّ ثقلاً ووزناً عن الأعمال الأولى، استحقَّ هذا الجزاء، فأصبح رسولاً لله ومنقذاً لعباده، ليخرجَهم من ظلمات الجهالة، إلى نور السعادة، والمكاسبِ الكبرى الأبدية.

قطعاً النبوة بالسعي

مما تقدَّم تبيَّن أن كل ما يقال عن أن النبوة والرسالة هبة، هو طعنٌ بالعدالة الإلَهية وبكمال رسل الله ومقامهم العالي الرفيع وهم القدوة الحسنة وهذا القول يناقض صريح القرآن الكريم، قال تعالى مخاطباً سيد الأنبياء ﷺ.. سيدهم بالطهارة، بالتضحية وبالجهاد وبالأعمال.. سيدهم بالنبوة والرسالة والكمال.. سيدهم مع ربِّه بصدقه وحبه العظيم له، وعطفه على عباده جميعاً:

ليست النبوة هبة

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ.. ﴾: عليك لأهليتك العالية ﴿ ..وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[1] : بالقوانين الحق. إذاً فليست النبوة هبةً أعطيت للأنبياء اعتباطاً وجزافاً، بل كلٌّ بعمله، والتفاضل بالاجتهاد والأعمال.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.. ﴾[2]: بحسب أعمال كلٍّ منهم وثِقَلِ أعماله. كلّه بالعمل، والتفاضُل بالجنَّات والرفعة بالدرجات أيضاً بحسب التفاضُل بالأعمال.

---

[1] سورة الإسراء: الآية (١٠٥).

[2] سورة البقرة: الآية (٢٥٣).

قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

كلٌّ يعمل على شاكلته: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، فالله تعالى لا يمكن أن يجتبي إليه عاصياً، آثر الأشياء الدنيئة على رضاء خالقه، وإنما يكون الاجتباء والاصطفاء لإنسان كريم الصفة، عالي المطلب آثر الخير والكمال وشُغف به، فاطلب تعط، وصاحب الشوق الأكثر ينجح وينال أكثر.

---

[1] سورة يونس: الآية (٤١).

[2] سورة آل عمران: الآية (٣٣).

﴿ . .لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ. . ﴾

آية كريمة تشعُّ نوراً وضياءً في أوائل الآيات من سورة يوسف، كثيراً ما طرقت مسامعنا.. جوَّدها المجوِّدون، وترنَّم بها المترنمون.. فاضت أعين الصحابة الكرام والمؤمنين بالدمع لدى سماعها، وبشهودها عادوا غانمين، وبالتقوى "الشهود النوراني الأعظمي" رافلين، بمعيّة رسول الله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين.. كما ونظرت أعين البعض فيها نظرةً في الفراغ دون أن تعي قلوبهم شيئاً. إذاً فلنهيئ أنفسنا للبحث في بحر معانيها وشروحها، واكتشاف لآلئها وكنوزها.

في البداية دعنا نلقي نظرة في التفاسير الزائغة: عن البرهان، عمَّا رآه سيدنا يوسف عليه السلام. فقد وردت في ذلك أقاويل كثيرة وقبيحة لا منطق ولا صحَّة عن مفسِّريها عميان القلوب، ومنها:

- أنـــه رأى صورة سيدنا يعقوب عليه السلام عاضّاً على أصبعه بفمه..

- وقيل عنه في رواية "أن سيدنا يعقوب ضرب في صدر يوسف فخرجت الشهوة من بين أنامله" فمن أين حضر سيدنا يعقوب من البدو ودخل عليها والباب مغلق؟!!. ومن البداهة: أن الغائب لا يكون حاضراً والحاضر لا يكون غائباً.. وما إليها من دنيء الأقوال، ما يترفع عن سماعها من كان في قلبه ذرةٌ من خردلٍ من إيمان.

- وقيل أن سيدنا يوسف عليه السلام رفع رأسه إلى سقف البيت، فإذا بكتابةٍ على الحائط لآية ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1].

- ويُقال أن يوسف عليه السلام رأى ثلاث آيات من كتاب الله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[2].

والآية: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ..﴾[3].

والآية: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ..﴾[4].

مع أن القرآن لم يكن قد أنزل، أي قبل خلق سيدنا محمد ﷺ، بل قبل الإنجيل والتوراة، فمن أين جاؤوا بهذه الآيات افتراءً ؟!. ويقال أنه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان قد همَّ به.. وقيل البرهان إنما هو خيال سيده حين دنا من الباب، وما إلى ذلك مّما ذهب لتفسيره الأرذال، حين فسّروا عن الأطهار، بموازينهم الخبيثة الخفيفة، وكلّ إناءٍ بما فيه ينضح.

وكما نرى أقاويل كثيرة مختلفة في مبناها، متفقة في فحواها، وهو أن سيدنا يوسف عليه السلام ذلك النبي الطاهر الشريف، قد مالت نفسه إلى الفاحشة، وكاد أن يقع بأمر لا يقع به إلا من بَعُدَ عن ربه، واستحوذت

(1) سورة الإسراء: الآية (٣٢).
(2) سورة الانفطار: الآية (١٠).
(3) سورة يونس: الآية (٦١).
(4) سورة الرعد: الآية (٣٣).

الدنيا على قلبه أشد الاستحواذ، وأصبح عبداً مطيعاً لسلطان الشهوات والنزغات.

هذا و لم يفهموا حقيقة قول ربّهم: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ. . ﴾[1].

يهمُّ الإنسان بحسب ما في نفسه، فالشهم الطاهر الجريء يهم بإنقاذ شرف إحدى النساء من أيدي خاطفيها من أهل الفواحش، أما الرجل الدنيء النفس الزاني، فهو يشاركهم في عمل الفاحشة.

وإذا همَّ أحد اللصوص بسلب مالك، ومدَّ يده إلى جيبك، وهممتَ أنت بصده وإلقاء القبض عليه، فهل ما هممتَ به يماثل ما همَّ به؟!.. الهمَّتان متعاكستان، لذلك فالأنبياء الكرام البررة وهم صفوة الله من خلْقه، وخيرته من عباده، لا يهمُّون إلا بمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق، فهم نبراس الكمال، ولا يَصْدُر منهم إلاّ الكمال والطهر والعفاف. أما همُّ الزانية الفاجرة فهمُّها على العكس في إتيان الفاحشة، لأنها عمياء القلب، لا تعلم نتائج هذا الأمر الشنيع بالهلاك عليها.

النبي المبصر بنور الله، يُدرك ما في هذا الأمر الشنيع من الهلاك، لذا فهمُّه مخالف لهمِّها، فهي تهمُّ بسلب شرفه، وهو يهمّ بالنجاة بشرفه وشرفها.

[1] سورة يوسف: الآية (٢٤).

ولو صدّقنا قول الزنادقة بأن هِمّته كهمَّتها، لَما كان سيدنا يوسف عليه السلام نبياً، ولا صدِّيقاً، بل لانطبق القول على شخص خبيث زانٍ.. وحاشا للأنبياء عن هذه الوصمة الشيطانية.. حمانا الله وإياكم من تصديق أقوال إيحاءات الشياطين لأمثالهم.

ولو أننا أمعنا النظر في السورة، وربطنا الآيات ببعضها البعض لكشفنا زيف هذه الأقاويل وافتراءها.. فبعد أن شهد شاهدٌ من أهل زوجة العزيز بشهادة تدينها، وتبيّن براءة سيدنا يوسف عليه السلام خشي العزيز أن يشيع الأمر بين الناس، ولذلك أوصى سيدنا يوسف بالكتمان، والتفت إلى زوجته ولامها، وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ، يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[1].

كما وقد جاءت براءة ثانية لسيدنا يوسف عليه السلام، وشهادة من زوجة العزيز ذاتها بطهارته وعفّته: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ . .﴾[2].

وعلى الرغم من ذلك، فقد فسَّر العميان هذا بخلافه وعكسه.

---

[1] سورة يوسف: الآية (٢٨-٢٩).

[2] سورة يوسف: الآية (٣٢).

ولقد رأى العزيز والوزراء من الأدلة والبراهين على براءة وطهارة سيدنا يوسف عليه السلام الشيء الكثير، فقرَّروا أن يسجنوه ريثما ينطفئ هذا الأمر، وينساه الناس، فلا يبقى هذا اللغط بحق زوجة العزيز.. كما وقد خاف الوزراء والوجهاء على نسائهم الهائمات المغرمات بجمال سيدنا يوسف الطاهر الأمين، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾[1].

وإليك اعتراف واضح وصريح لزوجة العزيز بأنها مخطئة، وأن سيدنا يوسف عليه السلام طاهر شريف، حين سأل المِلِكُ النساء: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2]: وهذه براءة من الله له أمام الناس جميعاً. ولكن عدم معرفة الإنسان بمقام النبوة، وما ينشأ عنه من العصمة، قد يجرُّه إلى الاعتقاد بإمكان وقوع الأخطاء من الأنبياء..

وقد يتفاقم به الأمر فينسب لهم الخطأ، ويسعى في تأويل أعمالهم العالية بما لا يليق بشرف مقامهم وعظيم مكانتهم، أما سمع قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ

---

[1] سورة يوسف: الآية (٣٥).

[2] سورة يوسف: الآية (٥١).

الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ. . ﴾[1]: هل يظن أولئك الضالون المضلون أنه تعالى يأمرنا بأن نهمَّ بالفحشاء!. حاشا لله وكلاَّ.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2]. والله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. فهم عليهم السلام لا ينطقون إلاَّ بكلام الله ولا يعملون إلاَّ بأمره.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ. . ﴾[3]، و لم يقل أرذل القصص، كما زعم بعض المفسِّرين المضلين.

فالآية ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ. . ﴾، هي بداية قصة سيدنا يوسف عليه السلام.

الناجحون الأُوَل

فمن غور الأزل السحيق، تصدَّت هذه النفوس القدسية، وكانت كغيرها من النفوس المكلَّفة، لحمل أمانة عظمى، ومسؤولية كبرى، ألا وهي حرية الاختيار بحمل الأمانة، لتفوز بالقرب من جناب المولى الكريم، وترقى رقيّاً أبديّاً متتالياً في جنات النعيم، وقطعوا على نفوسهم العهود والمواثيق بأنهم عندما سيضع الله تعالى فيهم

---

[1] سورة الأنعام: الآية (٩٠).

[2] سورة الأنبياء: الآية (٢٦-٢٧).

[3] سورة يوسف: الآية (٣).

الشهوة، سينظرون إليها بنوره، وهنا عقدت كل نفس عندما تسلّمت اختيارها، النيَّة على شيء معيّن، وانتظر الجميع لحظة وضع الشهوة.

عالم الأزل

..تلك اللحظة الحاسمة، عندها كانت نفوس الأنبياء والمرسلين تعصف إعصار صدقٍ وشوقٍ لا يعرف ركوداً أو سكينة، إلى أن حانت لحظة دبِّ الشهوة، فانطلقوا كالصواعق حباً وهياماً بالحضرة الإلّهية والذات العليَّة، و لم ينظروا إلى الشهوة إلاَّ بنور خالقهم، و لم يتحولوا عنه طرفة عين، فامتلأت نفوسهم به ومنه تعالى، كمالاً وفضلاً عظيماً، وازدانت حبّاً وهياماً لما منحهم من جليل عطاياه، فهذه الشهوات أثر من فضله العظيم عليهم، فلم تشغلهم عنه تعالى، بل كانت مدارج لمعارجهم القدسية السامية، بالاستغراق بحضرة ذي الجلال والجمال مُغدق النِعم..

فتلك هي الأنفس المؤمنة حقاً، نفوس الأنبياء الكرام البررة، لقد رأت الشهوة، فرأت فضل خالقها عليها، فشكرته على فضله، وحمدته على نعمته.

الأنبياء المعصومون

ومن ثم نظروا نظرة إلى إخوانهم بالإنسانية الذين خانوا العهد، وفشلوا بالامتحان، والذين ما أن رأوا الشهوة حتى افتتنوا بها، ونسوا عهدهم، ومن ثم انقطعوا عنه تعالى، وبسبب الرحمة التي اكتسبتها تلك الأنفس الطاهرة النقية، من إقبالها العالي على ربِّها، أعني

نفوس الأنبياء، طلبوا منه تعالى :أن يكونوا هداةً لخلْقه، وأطباء لنفوسهم المريضة بجرثوم الشهوة الخبيثة، مصدر الشقاء والعذاب، ليمنحوهم من فيض برِّه تعالى وإحسانه، ويدخلوهم في ما حوت نفوسهم الطاهرة النقية من الكمال الإلّهي، فيعودون بنورهم مشاهدين[١]. وقد شُفيت نفوسهم من كل دناءة وانحراف.

ولما جاء "الأنبياء" إلى الحياة الدنيا، بدأوا منذ أن بدأ وعيهم وإدراكهم، يفكرون في أنفسهم، وفي ما حولهم، فنظروا في الأرض وما عليها، والسماء وما فيها، نظرات ملؤها التأمل والتفكير والإعجاب والتقدير، فأوصلهم فكرهم وتأمُّلهم وهداهم إلى وجود قوة عظيمة ساهرة، ويد حكيمة مسيِّرة، تمدُّ هذا الكون ككلّ بالحياة والتربية، وتدبير أموره كلها، وهنالك خشعت نفوسهم لهذا الخالق الكريم إجلالاً وتقديراً، وعكفت في أبواب محبته ومشاهدة كماله لا تبرح لحظة ولا تغيب برهة فهم دوماً في التجاء وإقبال على الله تعالى، وهم دوماً في مشاهدة أنوار ذي الجلال والجمال «**نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا**» [٢]، شاخصين ببصائرهم لمبدع الأكوان، ممدِّ الأرض والسموات.

إن هذا الإقبال الدائم على الله، وهذه الاستنارة المتواصلة بنور الخالق جلَّ وعلا، جعلت في قلوب هؤلاء الرجال بصيرة نافذة، فرأوا بنور الله تعالى

---

[١] أنظر بحث الأزل في كتاب عصمة الأنبياء للعلامة محمد أمين شيخو .

[٢] أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٦.

الحق من الباطل، وميَّزوا الخير من الشر، وكانت هذه الرؤية المستمرة، والمشاهدة المتواصلة سبباً في عصمة نفوسهم من الزلل، وحفظها من الخطأ، وطهارتها من الأدران.

سيدنا يوسف عليه السلام

وهذا ما تعنيه آية: ﴿..لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ..﴾[1] أي: أن سيدنا يوسف عليه السلام لولا أن كان مقبلاً على الله، ناظراً بنوره تعالى، مشاهداً حقيقة ذلك الأمر الفاحش وما فيه من هلاك، لما همَّ بدفعها، بل همَّ بصدِّها لإيمانه عليه السلام وتقواه منذ سن البلوغ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2]: أي كل من آمن واتقى من البشر، غير النبيين، أيضاً حُفظ من الانحطاطات والسفالات، ونجا من المهلكات، وحاز الفضائل والكمالات من حضرة الله، فغدا صاحب بصيرة، يرى الشر شرّاً فيتجنبه، والخير خيراً فيناله. إن سلك مسلكهم مسلك سيدنا إبراهيم عليه السلام بالإيمان.

ويتبيَّن من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام أن التقوى تعصم صاحبها التقي، فهو بالسموِّ والعلوِّ دوماً.

---

[1] سورة يوسف: الآية (٢٤).

[2] سورة يوسف: الآية (٢٢).

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[1]: وذلك حينما سأل الناس رسول الله ﷺ، ما دام الله جميلاً ويحب الجمال وخلق الجمال، فكيف لا نقع بالفتن؟. فأجابهم بقصة سيدنا يوسف عليه السلام وأن التقوى تعصم صاحبها، فإذا ما أحاطت بك الفتن أيها الإنسان، فليس لك من سبيل للخلاص سوى الالتجاء إلى الله تعالى، والإقبال عليه بعد إيمانك، وهنالك يشرق النور الإلّهي في قلبك، فترى الخير من الشر ببرهان ربّك.

فما أطهر سيدنا يوسف عليه السلام وما أنقاه، وما أسماه بقربه من ربِّه وما أعلاه، فهو عليه السلام كغيره من الأنبياء العظام، قدوتنا في الطهارة بنور الله.

---

[1] سورة يوسف: الآية (٧).

فأشجع منهم لم تَرَ قط عين
نماذج عن شجاعة رسل الله صلوات الله عليهم أجمعين

حديثنا الآن عن سيدنا موسى عليه السلام بعد قتله القبطي الظالم المعتدي، نُصرةً للحق، ولو أدى هذا للتضحية بحياته الغالية، ثم فراره ووصوله لمدْيَنَ بلدة سيدنا شعيب عليه السلام.

كيف يتأتَّى لمن هو في خطر الموت، والمطالَب بحياته أن يثير مشاكل تكشف هويته؟. ولا يلتمس لنفسه عذراً مبرراً للانصراف إلى همومه وغمومه، من بعد فقدان الشأن والرفاهية والاطمئنان، وكل ظلال السلطان، واليقين الحتمي بالموت، فهو المتهم لاغتيال الإله المزعوم[1]، وهذه بنظر الناس الجريمة الكبرى التي لا توسط فيها، فيقدم بعدها على نصرة نساء مستورات، مخالفاً الرأي الاجتماعي المنحط السائد لنصرتهن، ولا مطمع فيهن بسبب عفتهم لمرضى القلوب؟.

إنه سيدنا موسى عليه السلام، الذي اقتحم على مورد الماء وهو غريب، وتعرَّض للجميع وهو مُلاحق مطلوب وحيد، وهذا يدل على شجاعة لا يتحلَّى بها إلاَّ مؤمن عظيم، وتحقيق العمل يشير إلى ضراوةٍ واستقتالٍ لعمل المعروف والإحسان، حقّاً إنه باع نفسه لله وفي سبيل مرضاته.

---

[1] الإله المزعوم فرعون حينما رأى في المنام أن مولوداً سيولد من بني إسرائيل سيقضي عليه وعلى دولته وقد أراه تعالى المنام ليتراجع عن غيِّه ويتوب عن طغيانه فعمل العكس ؛ إذ تمادى في البغي والطغيان وأخذ يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم ، ولكن المولود سيدنا موسى ﷺ نجا من الذبح ثم كُشِفَ أمره وخرج من مصر.

سيدنا موسى عليه السلام

لَمَّا ورد ماء مدين وجد من دون الرعاة امرأتين تذودان الغنم، فقال: ما خطبكـــما؟.

قالتا: لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، هنالك ذُهل سيدنا موسى عليه السلام من سفالة الرعاء، إنهم حقّاً رعاع لا يملكون ذرّةً من شرف أو نخوة أو شهامة، فبئس القوم هم، لقد نظر إليهم بنفسه باحتقارٍ وترفُّع، إذ لو كانتا من صنف الكاسيات العاريات، المائلات للزنى المميلات، لأفسح لهن الرعاة طريق الماء، بل ويخدموهنَّ.. نعم لخدموا شهوتهم، وناصروا دناءتهم، لكن بنات سيدنا شعيب عليه السلام لا مطمع لمرضى القلوب في القضاء على شرفهن وعفتهن وكمال طهارتهن إذ كنَّ مستورات متحجبات، لا يُظهرن من صباهنَّ ولا جمالهنَّ المقدَّس للأجانب أبداً، لذا استهتر الرعيان بهنَّ، و لم يعبؤوا بوجودهن، بل لم يراعوا أنهنَّ بنتا نبيٍّ عظيم الشأن عند الله، لذا اشمأزّ سيدنا موسى عليه السلام من هؤلاء الرعاء، واستخفَّ بهم لدناءتهم وانحطاطهم، وشعر بالهيبة الإلّهية تسري بنفسه سريان الأعاصير الساحقة الماحقة، وانقضَّ عليهم انقضاض الأسد الهصور على جرذان تدخل عرينه ليسحقها سحقاً، فيجعلها كالرميم. هالهم منظره، وخفقت قلوبهم خفقان الموت لمهابته، وأحاطت بهم هالةٌ من الرعب القاتل عندما صرخ بهم وانقضَّ على القوم بعصاه وحده، فلم يدع لأحدٍ منهم فرصةً لأن يفكر، ولا أن يضرب حجراً، لهول ما أصابهم،

ولشدة ذهولهم باستماتته لتحقيق هدفه، باندفاعه المهيب كالصاعقة، كَشَفهم عن الماء. وفروا بقطعانهم هاربين، وللنجاة بحياتهم طالبين.

رأى ذلك فضلاً من الله عليه ومنَّة فقال :

﴿ . .رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، و لم يصبه الغرور والزهو بالذات والكبر، بل زاده عمله الفدائي افتقاراً وتذلُّلاً وحمداً لذي الفضل والإحسان.

ولا ننسَ موقفه أمام فرعون الإله المزعوم ، يُسفِّه إمبراطوريته وإنسانيته المزيَّفة، أمام حاشيته ووجوه دولته وحرسه، ويدعوه لعبادة ربِّ السموات والأرض ومبدعهما ، فيجيبه فرعون وهو بسلطانه وصولجانه مستهزئاً:

﴿ . .إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا ﴾ . **مَسْحُورًا**: تعيش بالأحلام.. تتخيل تخيلات.

فيصعقه موسى صلوات الله عليه الحاد الطبع للحق بقوله الجريء:

﴿ . .وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا ﴾[2]: أي فارغ الرأس لا تفكير عندك، مجنوناً.. قالها لإمبراطور العالَم... فأكْبِر بها من شجاعة لا تماثلها شجاعة. هو بمفرده وفرعون بحاشيته وجيوشه وأساطينه.. ويخاطبه بهذا القول!. بتلك الثورة العظيمة، والإجابة الصاعقة، وبمنظره السماوي المهيب، حتى طاش صواب فرعون، فلم يعد يجرؤ على أن يتفوه بكلمة ضده.. بل دبَّ

---

[1] سورة القصص: الآية (٢٤).

[2] سورة الإسراء: الآية (١٠١-١٠٢).

في قلبه رعب أذهله عن الوجود، طاش صوابه وجبَّن فلم يُحِرْ جواباً ولا أمراً... حقّاً يا لها من شجاعة!!.

ذلك أثر من إيمان سيدنا موسى بربِّه، واعتماده عليه السلام عليه تعالى. ولعلمه بأنه مستقيم على أمر الله، لم يشذ و لم يضل، فلا استحقاق عليه ليُسلَّط عليه أحد.

سيدنا إبراهيم العظيم عليه السلام:

وها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يضرب لنا مثلاً أعلى في الشجاعة، فهو فتى والقوم مجتمعون وقد حطَّم آلهتهم جميعها فجعلهم جذاذاً،وترك كبيرهم ليحرِّك جامد تفكيرهم وخامد عقولهم، وليروا أنها لا فعل لها ولا قوة، فأتوا به على أعين الناس، لعلهم يشهدون جوابه وعذابه...

اعتراهم الذهول لإجابته بهدوء وثقة واطمئنان مزدانة برباطة جأش ووقار واعتزاز إذ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ..﴾[1]، اسألوه إن كان ينطق لعلَّه يجيبكم. متهكماً على سخف عقولهم، ساخراً من ضلالهم مع إصرار بالغ عامداً على هدايتهم ولو كلَّفه ذلك التضحية بحياته الشريفة السامية النبيلة.

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

واعترفوا أنه لا فعل للصنم، وانكشف لهم ضلالهم وسخف عقيدهم... لكنهم لم يلبثوا أن عادوا لضلالهم، ونُكسوا على رؤوسهم، فأجابهم:

---

[1] سورة الأنبياء: الآية (٦٣).

[2] سورة الأنبياء: الآية (٦٤).

فكيف تعبدون من دون الله ما لا ينفع ولا يضر؟. أفٍّ لكم ولآلهتكم، ما هذه السخافة؟!..

فركبوا رؤوسهم وسدروا بضلالهم، وأجمعوا أمرهم، وأضرموا نيراناً أياماً عديدة، حتى عجَّت السماء، واخترعوا المنجنيق لرميه عليه السلام، وما زاده ذلك إلاَّ إيماناً بربه، وشجاعة أذهلتهم حتى عن أنفسهم، لاسيما عندما سلَّمه الله، عندها خاف النمرود، زعيم كفرهم وسلطان المملكة، على ملكه من سيدنا إبراهيم الفتى عليه السلام، فطلب منه أن يترك البلاد ويذهب، ولم يستطع أن يمسَّه بأذى، وما جرؤ على قتله وهو الطاغية.

سيدنا عيسى عليه السلام:

وهاهو سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام، وليس معه سوى الحواريين الأحد عشر رجلاً، والأمة اليهودية والأمة الرومانية ضده، فيقول: من يبايعني على النصر أو الموت؟. وبدأ يخطط لدخول معركة ضد عدوه، بأحد عشر رجلاً ضد الآلاف المؤلفة، ولكن الله قضى أمراً فيه الخير للجميع، فتوفاه وفاة النوم، هو وأمه، وآواهما إلى ربوة ذات قرار ومعين: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[1]، وسحب هذه النعمة عن اليهود، لأنهم لم يستحقوها وألقى عليه وعلى أمه عليهما السلام سنةً من النوم، ليستيقظ بعد ما ينوف

---

[1] سورة المؤمنون: الآية (٥٠).

عن ألفي عام، فيحقق الله مراده السامي الرفيع. نعم لم تثنه كثرة عدد الجنود، بل زادته قوة وشجاعة لنصرة الحق.

قوم عاد: وهاهو سيدنا هود عليه السلام، في قوم غرَّهم أموالهم وقوتهم التي بها يتبجَّحون، قولهم: من أشد منَّا قوة؟.

لقد كانوا القوة الضاربة بالعالَم إذ ذاك. وإذا بطشوا بطشوا جبارين، إنهم قوم عاد، فواجههم وحيداً عندما ناجزوه بقولهم: ما جئتنا ببيِّنة، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين، فدع ما تقول واترك دلالتك، وكادوا له، فوقف منفرداً،وهم ألوف، ودوى بصوته للكفرة في آذانهم كالرعد، وحل بقلوبهم الهلع، وشعروا جميعاً بانحلال عزائمهم، وجمود ثورهم بقوله متحدِّياً الجميع: ﴿..فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ﴾[1]: اجمعوا كيدكم ودبروا ما شئتم، ولستم بقادرين على شيء. فهو شجاع، لأنه أمين من نفسه، كونه على صراط مستقيم، سائراً بالحق، ولا يخرج عن الحق، عرف أن الله لن يسوق له شيئاً من الأذى على يد أحد، ولا يستطيعون، لذا كان جريئاً بطلاً.

---

[1] سورة هود: الآية (٥٥).

طالوت عليه السلام:

وها هو سيدنا داود عليه السلام يشق صفوف الألوف من المقاتلين، ليصل إلى لبِّ العدو وقائدهم، الطاغية الجبَّار جالوت، الذي جال طغياناً بالعالَم، هنالك اخترق الحرس العام والحرس الملكي الخاص، حتى وصل لجالوت وقتله قهراً، رغم أنف الطغاة جميعاً، ففروا بقطع رأس قائدهم الملك، والهلع يعصف بهم إذ رأوْا، ويا لهول ما رأوه من منظره عليه السلام المرعب، وما رعبهم إلاَّ من الخبث والباطل الكامن في نفوسهم، حتى خشوا سيدنا داود الرحيم القلب باطناً ؛ المفزع البطَّاش ظاهراً، كان حقاً شجاعاً ذو بأس سماوي رهيب.

لمن النصر!...

كان طالباً الشهادة أو النصر، بمعناها الحقيقي، والهيبة الإلَهية تجلله، عندها تفتتوا وتمزقوا وتشرذموا، وبذلك كتب الله النصر للفئة المؤمنة القليلة معه باقتحامه الفدائي، والهزيمة للفئة الطاغية الباغية الكثيرة. وقد سمَّى تعالى داود عند احتدام الصراع والقتال باسم حركي "**طالوت**"، أي أنه حتماً يطول العدو ويقضي عليه، وقد فعلها عليه السلام.

شجاعة سيد الخلق:

وها هو سيدنا محمد ﷺ يضرب لنا المثل الأعلى في الشجاعة، فيهزُّ أركان قريش وتشبثها الأعمى التقليدي بأصنامها، الآلهة المزعومة، وهو يواجههم وجهاً لوجه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا . . ﴾.. فأعرضوا عن قوله وكذَّبوا بالحق لما جاءهم، فَتَحدَّاهم أجمعين بقوله:

﴿ . .قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ﴾[1]: دبِّروا ما شئتم ولستم بقادرين رغم أنوفكم، ناجزهم وجهاً لوجه، فهو الشجاع المعتمد على الله، فلا فعَّال سواه، وأنه طاهر ﷺ، لا يمكن لأحد أن يتسلط عليه، فلا خطأ وقع منه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[2]، ولا استحقاق عليه حتى يتسلط أحد عليه، فكيف يقولون أنه أوذي أو كسرت رباعيته الشريفة، أو صبية رجموه بالحجارة، والله يقول: ﴿ . .وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. . ﴾[3]: فلا يستطيع أحد الوصول إليه بأذى.

---

[1] سورة الأعراف: الآية (١٩٤-١٩٥).

[2] سورة النجم: الآية (٢).

[3] سورة المائدة: الآية (٦٧).

ويقول تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ. . ﴾[1]: أليس هو رسول الله، أفلا يكفيه الله؟!. ومن كان الله معه فمن ضده؟.. فالكل بيده، تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿ . .وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء . . ﴾[2].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا . . ﴾[3].

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

وكل ذلك وقع بالحروب والوقائع، حتى شمل المؤمنين الصادقين والصحابة الكرام ﴿ . .وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ. . ﴾[5].

وكفى بالله ناصراً، وبه محاسباً معيناً.

فلنتب ولنستقم عندها نطلب النصر، والله عندها ناصرنا.

---

[1] سورة الزمر: الآية (٣٦).

[2] سورة الحشر: الآية (٦).

[3] سورة غافر: الآية (٥١).

[4] سورة المجادلة: الآية (٢١).

[5] سورة المنافقون: الآية (٨).

موسى عليه السلام يدحض حجج فرعون بمنطقه العالي

لا كتابة أزلية بل كلٌّ بما عمل

يقولون أنه تعالى خلق أناساً للجنة وآخرين للنار، "حفنة للجنة ولا أبالي وحفنة للنار ولا أبالي"، ولكنَّ الحقيقة أنه تعالى رحمنٌ رحيم عادل، له الأسماء الحسنى، وكل من بلغ وتجاوز سن السادسة عشر عنده الأهلية ليصل لأعلى مراحل التقوى، إن استجاب لداعي الإيمان، وفكَّر بآلاء الله و بآياته الكونية حتى آمن؛ مكتشفاً وجود ربه، راشفاً من فيض أسمائه الحسنى جلَّ وعلا.

رحمة ربنا بالخلق كافة

وهذا مثال فرعون، به يتبيَّن شديد رحمته تعالى بعباده، وكم يحاول بكلِّ إنسان، ليشدَّه لطريق النجاة والسلامة.

لقد حاول تعالى بفرعون الكثير، لعلَّه يصحو من سكرته بالدنيا:

١- جعل الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام ابناً لفرعون، تربَّى بأحضانه، ونشأت له علائق محبة ومودة به، وهذا الحب وهذه الميول التي ألقاها تعالى في قلب فرعون على الطفل الرضيع، والذي سيغدو رسولاً نبيّاً، عطوفاً رحيماً، سوف تساعد فرعون على السير في طريق الحق، وإنقاذ الخلق، والأخذ بيدهم إلى سبيل الخير والإيمان والسعادة، وستتم على يد فرعون

فتوحات إيمانية كبرى لهداية البشرية، والأخذ بيدها لسبل السعادة الدنيوية والأبدية، كونه ملك عظيم الشان، وذلك إن أطاع ابنه موسى العظيم، الذي تبنَّاه عن حب وكامل اختيار ورضى، حين يغدو موسى نبياً رسولاً إن رضي فرعون بسلوك طريق الإيمان واهتدى، فهدى الأمم والأقوام، كما هدت الملكة بلقيس دولتها وأمّتها القوية الضاربة.

٢- فرعون رجل سياسة كبير، حَكَمَ بلاداً شاسعة مدةً طويلة وكانت له السيطرة على أمم مجاورة فعَلا في الأرض، فله نظرة ثاقبة بالرجال لا تخيب، وقد رأى من سيدنا موسى عليه السلام منذ طفولته أعمالاً ناجمة عن طاقاتٍ عظمى، وقدراتٍ فائقة، وذكاء عجيب خارق مع جرأة حكيمة متناهية تفوّق بها على معاصريه، كل ذلك مساعدات له علَّه يلتفت له، وغداً يسير بدلالته ؛ دلالة الله عز وجل.

إذاً فلقد جعل الله تعالى سيدنا موسى صلى الله عليه وسلم لفرعون بتبنيه له عوناً كبيراً ليسلك به في طريق الحق ﴿ ..لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[1]: فيصبح أهلاً للجنات، إذ جعل خليفة الله في الأرض ابناً له، يتعلّق به قلبه، وهو ليس له أولاد، وفي ذلك من المساعدة ما يضمن له أن يغلب هواه، وخصوصاً أنه بلغ من العمر عتياً، ويسلك دلالة رسول الله عليه السلام.. ولو أنه أطاع كما أراد له الله، لنهض به سيدنا موسى عليه السلام فوق العالمين بزمانه ولازدادت مرتبته وعزّه بدنياه، وربح آخرته، ((كلمة فرعون

---

[1] سورة طه: الآية (٤٤).

مشتقة لغوياً من كلمتين فِرْ: أي امنح وأعطِ. وعون: مشتقة من المعونة والإمداد والتأييد كما ورد بفقه اللغة العربية لابن جني)).

لكن للأسف فرغم كل ما وفَّره الله تعالى من عونٍ له ولهدايته، فقد فرَّ عن هذا العون، وما استفاد منه.. ما استفاد من رسول الله عليه السلام، وحقَّ عليه القول وعلى قومه معه، ولو أنه اهتدى لهدى قومه، لكنه ضلَّ وأضلَّهم.

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾[1].

دحض الحجج التي تمسَّك بها فرعون:

لما عاد إليه سيدنا موسى عليه السلام بعد طويل غياب، ولسنوات عشر قضاها بصحبة رسول الله سيدنا شعيب عليه السلام بديار مدين، وذلك بناءً على طلب الله وأمره لسيدنا موسى، لإخراج فرعون وقومه من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة ومرابع الهناء في الداريْن، والذي تجلَّت فيه رحمته تعالى العظيمة بخلْقه، بقوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[2].

---

[1] سورة طه: الآية (٧٩).

[2] سورة طه: الآية (٤٢-٤٤).

رحمة الله حتى بفرعون:

قابلاه باللطف، لعلَّه يؤمن ويتقي. ففي عالم الأزل: امتحن الله كافة الخلْق فمنهم من أخذ شهادة عليا وهم الرسل الكرام، أما من كان عنده نقص، في الدنيا الرسل يتمِّمون له ما نقص. ومن كان ذا نقص عظيم، الإيمان يصل بالإنسان إلى الرقي، فمن كان له عمر فوق سن الرشد معناه: أنَّ لديه قابلية للنجاح والرقي.

﴿..لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ..﴾: بدايته ونهايته.. من أين جاء؟. ما أصله؟. وأين ربيَ؟. نهايته، موته، سيصبح جيفة. ﴿..أَوْ يَخْشَى﴾: يعرف أن لا فاعل سوى الله، وأنه في قبضة الله.

ولما جاءه سيدنا موسى عليه السلام وكان اللقاء "وطلب سيدنا موسى عليه السلام بني إسرائيل منه" بتدبير الله كتمهيدٍ لتبليغه الرسالة. ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ..﴾[1].

الحوار الرهيب!...

فما كان من فرعون إلاّ أن حاول إقامة الحجة على سيدنا موسى عليه السلام ليظهره خاطئاً أمام الحاشية، وكبار رجال دولته، بغية إعدامه بالعدل، ولإثبات بطلان أنَّ سيدنا موسى

[1] سورة طه: الآية (٤٧).

رسول الله، لذا: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا . . ﴾: نحن ربيناك. ﴿ . .وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ومكثت عندنا سنوات مذ كنت طفلاً حتى صرت شاباً، فمتى صرت رسولاً؟. ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: بعدما ربيناك ورعيناك، تقتل واحداً منَّا!. هل هذا يجوز؟!. تنكر ما أغدقناه عليك من كرمنا وحسن تربيتنا لك، وها أنت من الكافرين بنعَمِنَا!!. ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾؟. هل أنا مخطئ بعملي؟. ألا يقتضي أن أفعل ذلك؟. فلو أنَّ أحدكم اعْتُديَ عليه من قِبَلِ شخص غريب وأنا نصرته، لارتفعت عندكم وقدَّستم عملي، وارتفع شأني لديكم، لكن حدث العكس لَّما قتلت المعتدي منكم لَّما شطَّ بباطله فطغى وبغى بالتعدي، أفهذا لا يجوز؟!. أفعلي مذموم عندكم؟!. أهذه الإنسانية التي تدَّعونها؟. أهذه هي طريقتكم الإنسانية المثلى؟!. وكما يقال: "قتل امرئ في غابة جريمةٌ لا تغتفر، وذبح شعبٍ آمنٍ مسألة فيها نظر"!!.

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ . . ﴾: لأنكم ظلاَّم، فلو أنك عادل كما تدَّعي لما فررت، لأن الحق معي، وقتلته بجرمه، لأنه حاول التعدِّي على بريء من غير قومكم لاستحياء عرضه، وإن مانع قَتَلَهُ، فمن رفعكم وخفَّضه؟.. أفإن ناصرت الحق طلبتَ موتي؟!. وأنتم تدَّعون الإنسانية، أهذه حقّاً إنسانيتكم؟!. ﴿ . .فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: لأني فديت نفسي في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الإجرام وبتضحيتي بالمُلْك، إذ كنت عندكم أرتع ومُلكُكُمْ كله تحت تصرفي، لكني لما ضحيت في سبيل الحق بكل الملك، وضحّيت بنفسي في سبيل نصرة الحق، عندها جعلني تعالى رسوله.

وفي هذا جواب لاستنكار فرعون رسالة سيدنا موسى عليه السلام.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ثم هل هذا فضل إن ربيتني؟..

وبالمقابل قتلت أولاد بني إسرائيل كلهم، أهذه إنسانيتك ؟!.

لولا ظلمك ما ألقت أمي بي في النيل فزعاً من ظلمك أن تذبحني، ولما ربيتني ،قتلت الأطفال.. فما هو ذنبهم؟. وجعلت أهلهم " بني إسرائيل " عبيداً، هضمتهم حقوقهم من أجل منام شاهدته، أمن أجل حلم تقتل وتذبح الألوف..

أهذا ما تمنّي فيه؟!. هل هكذا الإنسانية؟.

هنالك وقع الحق:

كان فرعون يريد أن يقيم الحجة على سيدنا موسى عليه السلام ليعدمه ويُبطل دعوته بأنه رسول أمام الحاشية، ولكنه تجاه تلك الشجاعة والقوة في الحق، وتجاه ذلك المنطق العالي الرفيع الذي تكلَّم به سيدنا موسى عليه السلام داحضاً حجج فرعون الباطلة، ومظهراً ظلمه وانعدام إنسانيته بحججٍ دامغة بالغة، أذهلت فرعون ومَن حوله من

الحاشية، ظهرت حقيقة فرعون عاريةً عن الإنسانية دون أدنى مجالٍ للجدل، حتى أنَّ فرعون لم يملك ما يدافع به عن نفسه.

لقد ظهرت سيرته المعوجَّة، وأدرك انكساره وخذلانه أمام حجج ذلك السيد العالي الشجاع صلوات الله عليه وسلامه، فبدل أن يقيم الحجة على سيدنا موسى عليه السلام طارت كل حججه وانقلبت ضده، عندها صَغُرَ كثيراً، وشعر بالذُّل والانكسار قد اعتلاه، فمباشرةً أراد تحويل الحديث والهروب من ذلك الواقع الحق، والمنطق العظيم، بأن قال محوِّلاً مجرى الحديث:

﴿ . .وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]؟. هنالك بدأ رسول الله سيدنا موسى عليه السلام يبلِّغه البيان العالي، والدلالة الإلَهية العظيمة، علَّه يستجيب ويطلب الوصول لربِّه، ولكن للأسف الشديد ظلَّ مستكبراً وخاف على دنياه الفانية الزائلة، علماً لو أنه استجاب لمطلب خالقه الرحيم لازداد علواً وعزاً في دنياه، ولكسب حياته الأبدية، لكنه أضاع الدنيا والآخرة، وأضاع قومه معه، قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[2]. فكم وكم عاند وعارض وعصى وطغى، والرحمن الرحيم يمدُّه، ويغمره بما يريد لعلّه يثوب إلى رشده ويرعوي عن غيِّه، عشرات السنين، حتى إذا ظلم ولحِق ببني إسرائيل بغياً وعدواً دون أي حق، عندها أزال الله ملْكه العظيم، الذي لم

[1] سورة الشعراء: الآية (١٨-٢٣).

[2] سورة طه: الآية (٧٩).

يستفد منه لآخرته أبداً، وزالت دنياه، وبقيت معاصيه. ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾[1].

---

[1] سورة الدخان: الآية (٢٥-٢٧).

عودة السيد المسيح عليه السلام الحتمية

قبل قيام الساعة التي أشار إليها القرآن الكريم، أو أي بلاء آخر، فإن الله يرسل إلى الناس إنذارات وتحذيرات، لعلَّهم ينتبهون من غفلتهم، ويصحون من سكرهم، ثم يتداركون أمرهم قبل أن يحلَّ بساحتهم العذاب، وقبل أن يقولوا ربنا ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل.

ولا تقتصر تلك التحذيرات على الرسل فحسب، بل التنظيم الكوني الصارم بدقته، والهادف في غايته، يحذرنا من الاطمئنان لهذه الدنيا الفانية .

فالمراحل التي يمرُّ بها الإنسان أو الحيوان، من ضعف إلى قوة،ومن قوة إلى ضعف وشيْبة، والنبات يخرج غضًّاً، ثم يستوي ويستغلظ، ثم يصبح هشيماً تذروه الرياح، إن هي إلاَّ آيات محذِّرات مبيِّنات للإنسان، بأن لا يطمئن ويركن إلى الحياة الدنيا، بل تطلب منه بما تقدمه من المواعظ، أن يشمِّر عن ساعد الجدِّ، ويسعى لما هو مخلوق له، لأن الأمر جد، وما هو بالهزل.

تحذيرات: وما أشراط الساعة التي ذكرها الرسول ﷺ وظهرت الآن، إلاَّ آيات مبينات لأولي الألباب، الذين يبحثون عن لبِّ الأمور لا القشور والمظاهر الخداعة، أي عن ربهم موجد الوجود، ويذرون القشور والخيال المنطبع على شبكية العين، فيرون الحقيقة ببصائرهم بنور ربهم، لا ببصرهم فقط بنور الشمس والأنوار المادية والكهرباء.

ففي أشراط الساعة آيات مبينات، بأن هذه الحضارة التي بنوها وارتضوا بها، سوف يأتي الله على بنيانها من القواعد، فيخرُّ عليهم السقف من فوقهم، ذلك بأن الله لا يأخذ القرى بظلمٍ وأهلها غافلون، أما إذا أخذها وهي ظالمةٌ، فإن أخذه أليمٌ شديد. فلو كانت الحياة طيبة في ظل هذه الحضارة، لما شاهدنا أثراً لهذا التبرُّم والضجر والألم وحوادث الانتحار في البلدان الراقية من هذا النهج الذي ارتضته البشرية لنفسها.

وبما أن لرب العالمين غاية سامية من وجودنا وبغية إسعادنا وهنائنا وعشنا العيش الرغيد، وهذه الحضارة لم تفلح في تحقيق هذا الهدف الخيِّر فانحرفت عن غاية الرحيم بنا والمحبِّ لنا لتحقيق تلك الغاية والتي هي الحياة الطيبة بأسمى معانيها، فإن الهلاك يصبح محقَّقاً، وذلك لكي لا تزداد شرورنا، ويزداد ألمنا وحسرتنا يوم الدين.

فالله أعلم بمن خلق، وأعلم بما يسعد نفوسهم، أو ليس الذي أبدع السموات والأرض، وأسبغ علينا نعمه ظاهرةً وباطنة بقادر أن يضع لنا سنناً تكفل لنا سعادة الدارين؟.

بعث الرسول: بلى، ولكنّ خروج الناس عما أنزل الله تعالى من الشرائع الكفيلة بسعادتهم ورقيّهم، هو الذي سبَّب لهم النكبات، وسبَّب لهم الألم والشقاء، ومن أجل ذلك يبعث الله تعالى إليهم رسولاً من أنفسهم، يتلو عليهم آياته وشرائعه، ويأمرهم أن يطيعوا الله ورسوله،

بتطبيق تلك الشرائع، ويحذِّرهم ويعظهم من الهلاك إذا انحرفوا عنها، واستبدلوها بشرائع من وحي أهوائهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[1].

والسيد المسيح عليه السلام هو رسول هذا العصر، وهو الذي أرجأه الله تعالى لهذه الساعة، ساعة "هلاك القرى" وجعله علماً لها من أعظم أشراطها: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[2].

رجل الساعة:

فنقول: المنارة علمٌ للبر، أي برؤية المنارة نعلم بوجود البر إن كنا تائهين بالبحار.

فالمسيح عليه السلام علمٌ للساعة، وأما الأدلة القرآنية التي تنبئ عن مجيئه فإليك منها مما ورد بآي الذكر الحكيم:

[1] سورة القصص: الآية (٥٩).

[2] سورة الزخرف: الآية (٦١).

الدليل الأول:

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

لقد جاء سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، فاصطدم بعلمائهم من (الفرِّيسيين)، بعد أن رأوا مخالفته لأقوالهم، ولِما جاء به أجدادهم من التفاسير التي لم ينزل الله بها من سلطان، ولما رأوا أن أمرهم سيُكشف للناس، راحوا يقاومونه بشتى الوسائل، حتى تمكَّنوا من صدِّ الناس عنه، وما صدوا إلاَّ الذين هم على شاكلتهم، ولم ينتهوا عند الكفر به والصد عن سبيل الله، بل راحوا يمكرون به، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ . . ﴾: بكفرهم ومكرهم.

﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ﴾: أي من يبايعني على النصر أو الموت. ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ، رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: ذلك أن المسألة خرجت عن نطاق المناقشات الكلامية، وصار الاحتكام إلى رؤوس الأسنة.

---

[1] سورة آل عمران: الآية (٥٥).

مكرت بنو إسرائيل واستعد السيد المسيح عليه السلام والذين آمنوا معه، وهم أحد عشر رجلاً، ولكن الله جلّت قدرته رأى الحواريين قلة، فدبَّر لأمر فيه الخير لهؤلاء وهؤلاء. ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ، إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ . . ﴾: تألم على نفسه وأخذ الحزن منه كل مأخذ، وظن أن الله جل وعلا لم يقدِّر على يديه هداية العالَم لوفاته، إذ ظنَّها عليه السلام وفاة الموت لا وفاة النوم.. وذلك نتيجة إعراضهم وكفرهم لأنه بهدايتهم سعادهم وسعادته حتى يوم القيامة، وبالتالي رفعتهم ورفعته، عندئذ طَمْأَنه تعالى بقوله الكريم:

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ . . ﴾[1]: أي بأعمالك العالية بالمستقبل لإنقاذ البشرية.

لقوله تعالى: ﴿ . . .وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ . . ﴾[2].

والوفاة لا تعني الموت فحسب، بل النوم يسمى وفاة أيضاً كما ورد بالآية السابقة ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ . . ﴾، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ . . ﴾[3].

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا . . ﴾[4].

---

(1) سورة آل عمران: الآية (٥٣-٥٥).

(2) سورة فاطر: الآية (١٠).

(3) سورة الأنعام: الآية (٦٠).

(4) سورة الزمر: الآية (٤٢).

فالنوم وفاة إذن من الله مباشرة، أما وفاة الموت فتكون على يد ملك الموت الموكَّل بوضع الروح عند مجيئه إلى الدنيا وتكُّونه نطفة ؛ إذ هو الملَك ذاته أيضاً الذي يقبضها عند الموت. ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ . . ﴾[2].

معنى الوفاة:

فمعنى الوفاة هنا أخذ الإرادة والاختيار من سيدنا عيسى عليه السلام، بإلقاء النوم عليه، فالله يتوفى الأنفس التي أخذ منها إرادتها واختيارها، لذا فالأعمال التي تصدر من النائم لا يؤاخذ عليها، إن اتخذ الحيطة لنفسه قبل نومه، أما كلمة (**رافعك**) فلا تعني في الآية رفعة مكانية، وأية قيمة لها إن كانت مكانية، فالله موجود في كل مكان وزمان، فالسموات ليست أعلى من الأرض، وإنما هي بعيدة عنها فقط. السماء فوقنا وتحت كرتنا الأرضية ومحيطة بها عن بُعد من الأطراف الأخرى من الأرض، فالمسألة ليست قضية ارتفاع وانخفاض مكاني، بل المسألة قرب من الله أو بعد عنه.

---

[1] سورة السجدة: الآية (١١).

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ. . ﴾[1].

فبخلوده إلى الأرض، وعدم استعظامه آيات الله وآلائه، بقي منحطاً لم يرقَ، و لم ترتفع نفسه وتسمُ.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ. . ﴾[2].

﴿ . .يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

الرفعة: فالرفعة إذن معنوية، وفوق ذلك فإن الله قد آوى سيدنا عيسى وأمه عليهما السلام عندما همَّت بنو إسرائيل بقتله، آواه وأمه إلى ربوةٍ ذات قرار ومعين، لا إلى السماء: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[4].

---

[1] سورة الأعراف: الآية (١٧٥-١٧٦).

[2] سورة فاطر: الآية (١٠).

[3] سورة المجادلة: الآية (١١).

[4] سورة المؤمنون: الآية (٥٠).

فالله سبحانه طَمْأَن سيدنا المسيح عليه السلام بأنه رافعه إليه، بهذه النية العالية، إلاَّ أن الرفعة لن تكون الآن، إذ أن قومك بني إسرائيل أبوا أن يؤمنوا لك، وأصرُّوا على كفرهم، فما استحقوا إنعامي عليهم، لذلك فإني مُلقٍ عليك سنةً من النوم الآن، ورافعك بعد هذا النوم الذي يمتد قروناً، بالأعمال الكبرى التي سأرزقك بها، وبها إسلام العالم كله لله على يديك وذلك بنيتك العالية.

زوال الكفر:

قال تعالى: ﴿..وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ..﴾: عندها سأزيل دول الكفر، ولن تقوم لهم قائمة أبداً إلى يوم القيامة. ﴿..وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ..﴾: وسوف أجعل الذين يتبعونك عندها: ﴿..فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[1]: عندها تكون في هذه الأمة وجيهاً في الدنيا والآخرة، وبهذه الآية يبين تعالى أن ساعة القيامة تقوم على خيار الخلق، والساعة التي تقع بزمن السيد المسيح عليه السلام تقوم على شرار الخلق.

---

[1] سورة آل عمران: الآية (٥٥).

البينة هي رسول الله

الدليل الثاني: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

أي أن الذين كفروا من أهل الكتاب وهم اليهود، والمشركين وهم النصارى، لم ينفكوا عما هم فيه من كفرهم وإشراكهم، كما لن ينفكوا عن اختلافهم من تكذيب اليهود للسيد المسيح عليه السلام واختلاف النصارى في طبيعته حتى تأتيهم هذه البينة، وهذه البينة وصفها الله تعالى بأنها: ﴿. . .رَسُولٌ. . ﴾: ولغوياً رسول بدل من البيّنة: ﴿. . .مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ، فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ، وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ. . ﴾ "اليهود" إلى يهود ونصارى. ﴿. . .إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾: سيدنا عيسى عليه السلام.

﴿وَمَا أُمِرُوا . . ﴾: هؤلاء وهؤلاء.

﴿. . .إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. . ﴾.

لقد كان السيد المسيح عليه السلام بيِّنة في ولادته من غير أب، ثم حمْله ووضعه في فترة وجيزة بينة، وأية بينة.. وتكليم الناس في المهد، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيصبح بإذن الله، طيراً، ثم إحياء الموتى بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص، كلها تُعتبر آياتٍ بينات لمن شاء أن يؤمن.

كذلك فإن مجيئه بعد عشرين قرناً وهو كهل كما بالآية ليكلم الناس، يعتبر بينة على أنه رسول الله، إذن حياة هذا الرسول العظيم كلها بينة، ولا عجب بعد هذا أن يدعوه الله تعالى بالبينة.

فلم يكن اليهود والنصارى منفكين عن كفرهم حتى يأتيهم رسولهم المسيح عليه السلام، فلذلك فإن رسولنا محمد ﷺ لم يحلَّ الخلاف بين اليهود والنصارى إلاَّ بالتي هي أحسن، فحينما كان يحارب عبَّاد الأصنام والنيران يشترط الحرب أو الإسلام، فلم يبقِ صنماً ولا نيراناً للعبادة.

لا جزية بعد ظهور السيد المسيح عليه السلام

وإن كانوا أهل كتاب فكانت الشروط ثلاثة الإسلام أو الجزية أو الحرب، فإن أسلموا فتلك الغاية، وإن أبوا فدفع الجزية، وإلاَّ فالحرب حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية التي هي في حقيقتها رمز لعلهم يسلمون، فإذا أسلموا للحق ارتفعت عنهم، وأعيد لهم عزهم، وأصبح لهم ما للمسلمين، فهم لهم إخواناً سواء، لهم ما لهم من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات معزوزين مكرمين فلا تمايز عنصري ولا طائفي كيف لا فقد اهتدوا. أما بعد ظهور السيد المسيح عليه السلام: «فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»[1]، فليس هناك أمام المشركين والكفرة إلا السير بالحق أو القتال فلا معابد تقام إلا لعبادة الله وحده ولا شريك له.

---

[1] صحيح البخاري ج٢ رقم /٢٣٤٤/.

الدليل الثالث: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

وجاهة السيد المسيح:

فالآية تبين أن السيد المسيح سيكون وجيهاً في الدنيا وفي الآخرة، فإذا كانت وجاهة الآخرة لا ريب فيها فوجاهة الدنيا لم تحصل له بعد، ففي فترة قدومه الأولى لم يكن الذين معه يتجاوزون الأحد عشر، لذا فتلك الوجاهة هي التي ستكون له عند عودته ثانية، فيؤمن به كل من بقي حيّاً تقريباً فيصبح الملك العالمي للناس قاطبة: (يأتي على سحابة من المجد). ويغدو للعالمين إماماً إذ يؤمُّ إليه رجال الزمن وإلى أمه عليه السلام النساء جميعهن.

كلام الكهل ليس بمعجزة إلاّ:

والآية الثانية بقضية تكليمه بالمهد فكلامه يعتبر بحق معجزة، أما أن يكلم الناس كهلاً فليس بمعجزة، إلاَّ إذا غاب حيناً من الدهر يتجاوز أضعافاً مضاعفة من عمر الإنسان الوسطي، ثم يعود ليكلِّم الناس بنفس العمر كهلاً: مجيئه بعد عشرين قرناً تقريباً معجزة عظمى، وهو بنفس السن الذي توفاه الله به.

---

[1] سورة آل عمران: الآية (٤٥-٤٦).

أما وقد تكلمنا عن مجيئه فعلينا حتى يكمل البحث أن نشرح الغاية التي يأتي من أجلها.

إن القرآن جاء بأعلى مستوى وأكمله من التشريع والتنظيم والبرهان، وفي الحدود التي ارتضاها رب العالمين للبشرية، وهذه الحدود تبقى في المجال الذي لا ينصرف به الإنسان كلياً إلى الدنيا، وتمتص كل طاقاته الفكرية والنفسية والجسمية. فأرضية المجتمع الديني، والمناخ الذي يجب أن يعيش فيه الإنسان ويتلاءم مع معتقداته، هو مجتمع لا يتجاوز مستواه الحضاري مستوى التعقيد وامتصاص طاقات الإنسان لدنياه فقط، لأن التجاوز عن هذا المستوى يولد الشقاء والألم والظلم والتفرقة، تماماً كما نلحظه في هذا العصر، وكل زيادة على هذا المستوى، يعتبر فساداً وإفساداً ،واطمئناناً إلى الدنيا، وانصرافاً عن الغاية التي جاء من أجلها الإنسان.

لذلك فالسيد المسيح عليه السلام عند مجيئه، لن يحمل معه إنجيلاً يستوعب حضارة هذا القرن، ولن يصحِّح القرآن، لأنه كتاب لا يدخل عليه الباطل، بل يأتي ليمحو الصدأ الذي حجب الناس عن القرآن من تلك التفاسير الضحلة، ومن كثرة التفاسير المضللة، التي فرقت الناس إلى أحزاب وشيع، كل حزب بما لديهم فرحون، هذه الدعوة نفسها عندما أراد عليه السلام من قبل أن يجلو الصدأ الذي تراكم على التوراة، نتيجة التفاسير الباطلة ،والتحريف المقصود من علماء بني إسرائيل، ولكن عند مجيئه الثاني مهما يلاقِ هذا الرسول الكريم من التحدي من قبل بعض علما ء الأديان الثلاثة، أو من الذين يتبعونهم بغير علم، فالله سينصره هو والذين آمنوا معه،

وسيجعل عداءهم له حسرةً في قلوبهم إلى يوم يلقونه، وعندئذ سيحكم تعالى بينهم وهو خير الحاكمين.

انتهاء جولات الباطل:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ..﴾[1]. إن الدين بدأ غريباً. فقد بدأ الرسول ﷺ بدعوته لقومٍ قد مزقت الخلافات وحدتهم، وأبعدت القبلية تضامنهم، وكانوا عبارةً عن قبائل متفرقةٍ، ودويلاتٍ تستخدمها دول أجنبية كبرى، وبين أظهرهم أمة تعالت عليهم بما لهم "أبناؤها" من ماضٍ مجيد، ويستفتحون عليهم بما يعتقدون بأنَّ رسولاً اسمه أحمد "أي أحمد الخلقْ أسماهم وأعلاهم" قد قارب زمانه، وبمجيئه سينتصرون على العرب، ويأخذون ديارهم وأملاكهم، ويصبحون أسيادهم. هذا الوضع قبل أربعة عشر قرناً، "يشبه ضمناً وضعنا الحالي". فالأمة العربية خاصة، والإسلامية عامة، قد مزّقتها الخلافات إلى شيعٍ ودويلات متناحرة، تسيِّر قسماً منها دول استعمارية كبرى، وبين أظْهُرِها أمةٌ يتعالون علينا الآن بحاضرهم، وهم الآن كما كانوا بالأمس ينتظرون ظهور سيدنا محمد ﷺ فهم الآن ينتظرون قدوم السيد المسيح في أرض الميعاد فلسطين، ليكون الملك العالمي.

[1] سورة النساء: الآية (١٥٩).

فالدين أصبح غريباً. إذ ما من أحدٍ تقريباً يأمل أن تقوم للدين بعد اليوم قائمة، لأن عصر الأديان باعتقادهم قد ولّى منذ زمن بعيد، وإلى غير رجعة.

ألا إن الزمان قد دار دورته، وعاد الوضع كما بدأ

في هذا الزمان الذي كفرت الناس فيه بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، سيظهر الدين غريباً كما بدأ قبل أربعة عشر قرناً.

﴿ . .وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1]. فطوبى للمؤمنين الغرباء بقدوم الرسول السيد المسيح عليه السلام، فقد آن أوان ظهوره حقاً وصدقاً، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

عندها:

((طوبى لمولود هذا الزمان))

---

[1] سورة التوبة: الآية (٣٢).

GLORIOUS REASEARCHES

البحوث المجيدة

أشرقت أنوار الحكمة الإلهية على قلب سيد البرية، إلينا وصولاً وصلاةً برابطة علاَّمتنا المتينة أميناً بمحمدٍ ﷺ، ففاض أنهاراً نورانية لا شرقية ولا غربية، سُقيا للنفوس الظامئة وإلى الله العظيم آيبة.

بعد أن جفَّت سواقي التقليد التي رفدتها نيران الدسوس متَّحدة مع طغيان تيارات الطعن بالأنبياء الكرام البررة، حتى طفح بهم الكيل للنيْل من حضرة الله بوجوه مزيفة وتبريرات عفنة، أكل الدهر عليها وشرب، ما ألهب النفوس شقاءً في تخبط أعمى بوازعٍ من ألاعيب شيطانية مجنونة.

والآن آن الأوان ودار الزمان دورته ليزهق الباطل إنَّ الباطل تجاه هذه البحوث المجيدة المزدانة بأنوار الإله كان زهوقاً.

الناشر



Syria _ Dsmsscus www.thingsnotsaid.org
P.O.Box: 11777 www.amin_shekho.com